التصوُّف في الإسْلام

رُؤيةٌ نقْديةٌ للإمَام الأكبَر الأُستَاذ مُصطفَى عَبد الرَّازِق

إعداد الدكتور

عرفَه عَبد الرَّحمن أحمَد عبْد الرَّحمَن النَّادِي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

كلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

التصوُّف فِي الإسْلامِ رُؤيةٌ نَقْديةٌ للإمَام الاكبَر الأُستَاذ مُصطفَى عَبد الرَّازِق

عرفة عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: arafaal-nady.11@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحثُ إلى: إبراز صُورةٍ للنقد الذاتيِّ الذي يقدِّمه أحدُ أعلامِ الأزهر، وهُو الأستاذُ الأكبرُ الشيخ مصطفى عبد الرازق -رحمه الله-، في التصوف الإسلامي. وفيه: تعريفٌ بالشيخ مصطفى، يُبرز مكانته العلميةَ الساميَة، وتصوفَه. ثم مبحثٌ عن تعريف الشيخ مصطفى بالتصوف: بدءًا من أصل اشتقاق الكلمة، وتاريخِ ظهورها، ثم وضعِه ضوابط دقيقة لمَن أراد البحث في التصوف الإسلامي. وفي البحث قرائن تؤكد اهتمام الشيخ مصطفى بالتصوف الإسلامي؛ كإلقائه بحثًا عنه في مؤتمرٍ دوليٍّ عام (١٩٣٢م).

واشتمل البحثُ على العرْض الدقيقِ لأدوار التصوف الإسلامي، كما صوَّره الشيخ مصطفى، بدءًا من نشأة التصوف ممثِّلًا للكمال الديني وباحثًا عن المَثَل الأعلى، مُرورًا بالتأثر بالفلسفات الأجنبية، حتى دور الانحطاط. وذكَر مثالًا لِمَا تخبَّط فيه أدعياء التصوف: وهو موقف هؤلاء من كرامات الأولياء؛ فعرَض الآراءَ في المسألة؛ ليظهر منها التصوير الخاطئ للمسألة. والمنهج المتبَع في البحث: المنهج الوصفيُّ، والتحليلي.

ومن توصيات البحث: ضرورة تسليط الضوء على الجانب النقدي لدى أعلام الأزهر الشريف، وتوظيفه في خدمة الحياة العلمية، والرد على الأدعياء.

الكلمات المفتاحية: التصوف الإسلامي، مصطفى، عبد الرازق، النقد.

Mysticism in Islam
A Critical Vision of the Grand Imam, Professor Mustafa Abdelrazek

By: Arafa Abdulrahman Ahmed Abdulrahman Al-Nady.
Department of Creed and Philosophy
Faculty of Osoul Al- Deen
Azhar University
Cairo, Egypt
Email: arafaal-nady.11@azhar.edu.eg

Abstract:
The research paper aims at highlighting an instance of self-criticism introduced by one of the prominent figures of Al-Azhar Al- Sharif, the Grand Imam Sheikh Mustafa Abdelrazek (May Allah have mercy on him) who handled Islamic mysticism. The research paper includes an introduction to Sheikh Mustafa showing his status a superior scholar and his mysticism. Next, there is a research requirement in which Sheikh Mustafa defines mysticism starting with the origin from which the word was derived, the history of its appearance, and then setting precise guidelines for those who wish to do research on Islamic mysticism. The research paper has included some clues confirming Sheikh Mustafa's interest in Islamic mysticism such as introducing a research paper on mysticism at an international conference in 1932. This research paper has also included a precise exposition of the stages of Islamic mysticism as depicted by Sheikh Mustafa starting from its the early appearance which embodied both a representation of the religious perfection and a search for the supreme ideals passing by its influence by foreign philosophies till the period of decline. Sheikh Mustafa has cited an instance where the allegators of mysticism got confused. It is the attitude of those allegators towards the dignities of the allies of Allah. This research paper has displayed the views related to this issue to uncover their faulty perception of the issue. The research paper has applied the descriptive and analytical approaches. Finally, the research has recommended to highlight the critical perspective of the pioneering figures of Al- Azhar Al-Sharif, employ it to serve the academic life and to respond to the allegators.

Keywords: Islamic mysticism, Mustafa Abdelrazek, Criticism.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على خَير خلْق الله أجمعين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومَن تَبعهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ التكوين العلمي الأزهري يقُوم على ثلاثة أُسس: أوَّلها: دراسة علوم النَّص- القرآن الكريم والسُّنة النبوية -: التي يكُون النص فيها مأخَذ البَرهَنة والاستدلال. وثانيها: دراسة عُلوم العقل: التي تثبت مسائلُها بتوسط الاستدلال النظري. وثالثها: علوم الذَّوق: والمقصود بها: التصوف الإسلامي، مع اعتبار علم الأخلاق: مَدخلًا للتصوف في الإسلام.

ولِمشايخ الأزهر الشريف إسهاماتٌ واضحةٌ في كافة العلوم على تنوُّعها وتعدُّدها، ينبغي إبرازها وتسليط الضوء عليها، خاصةً ما كان مِن قَبيل النقد الذاتي، فكتبتُ في جانبٍ أصيلٍ من جوانب المنهجية العلمية الأزهرية، المستمدَّة من القرآن الكريم والسُّنة النبوية وتراث السابقين، والذَّوق المستقيم.

وأعني بالذوق هنا: التصوفَ الإسلاميَّ، فطالما فُهم خطأً، وانتسب إليه مَن ليس مِن أهله، فاعتُرِضَ على التصوف جملةً وتفصيلًا، دون تمييزٍ بين الأصيل والدخيل! والنقدُ دائمًا بناءٌ؛ لمَا يعقبه من تعديل المسار، ولفْت الأنظار إلى موطن الخَلل، لذا كتبتُ هذا البحث: «التصوُّف فِي الإسْلامِ رُؤيةٌ نقْديةٌ للإمَام الأكبَر الأُستَاذ مُصطفَى عَبد الرَّازِق»، متَّبعًا المنهجَ الوصْفيَّ: في عرْض كلام الشيخ مصطفى، والمنهجَ التحليليَّ، بما يتناسب مع طبيعة البحث.

وقد قسمتُ الكلام إلى مبحثَين، مسبُوقَين بمقَدمةٍ، وتعريفٍ بالشيخ مصطفى:

المبحث الأول: التصوف الإسلامي ومبادئه عند الشيخ مصطفى عبد الرازق.

والمبحث الثاني: أدوار التصوف الإسلاميِّ كما يرى الشَّيخ مصطفى عبد الرازق، وفيه مَطلبان: الأول: نشأة التصوف الإسلامي، وأدواره. والثاني: من مظاهر الانحراف لدى متأخِّري الصوفية: الفهم الخَاطئ لكرامات الأولياء.

ثم ختمتُ بذكر أهم نتائج البحث وتوصياته، وأهم المصادر والمراجع.

وأسأل الله -تعالى- أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم

تمهيد

الشيخ مصطفى عبد الرازق : بطاقة حياة

هو[١]: مصطفى بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرازق، مولده في قرية أبي جرج، بمحافظة المنيا، في صعيد مصر، ببَيتِ العِلم والقضاء، فوالده الشيخ حسن (١٨٤٤-١٩٠٧م): تلقَّى العلمَ على كبار علماء الأزهر الشريف، كالشيخَين: محمد الأشموني (ت: ١٣٢١هـ)، ونصر الهوريني (ت: ١٢٩١هـ)، حتى أصبح – الشيخ حسن – مُولعًا بكتب اللغة والأدب والشِّعر، وكان من كبار السَّاسة في عصره، وكان صدِيقًا مقربًا للأستاذ الإمام محمد عبده.

أما الشيخ مصطفى: فمَولده في عام (١٨٨٥م)، وتلقَّى قدرًا من التعليم في كتَاتيب بلدته "أبي جرج"، قبل أن يوجِّهه والِدُه إلى الجامع الأزهر وهو بيْن الحادية عشرة والثانية عشرة من عمره، وفي هذه الآونة: كان والده يتدارس معه "الكتابةَ الأدبية وقرضَ الشِّعر"[٢]، مما أكسب الشيخ مصطفى حسًّا أدبيًّا رائقًا، وملكةً عاليةً في الكتابة وقرض الشعر، وهو في سنٍّ مبكرةٍ.

عُرف عن الشيخ مصطفى: عِشْق القراءة في كل أحواله، وحفظ المتون التي يُعتنى بها في الأزهر الشريف؛ كمتنَي المنهاج وأبي شجاع، والآجرومية وألفية ابن مالك، ومتن التلخيص: في البلاغة، ومنظومة الصبان: في العروض. وكان يروي شِعْر المتنبي، والبحتري، والحماسة لأبي تمام،

---

(١) يراجع في التعريف بالشيخ مصطفى تفصيلًا – إضافةً إلى ما سيأتي-: أ. علي عبد الرازق، مصطفى عبد الرازق نبذة عن تاريخ حياته، ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، تحقيق ودراسة: د. عصمت نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤هـ-٢٠١٩م، ج٤ ص١٩-٢٨، ٦٤-٧٦. و د. حسن محمود، الشيخ مصطفى عبد الرازق كما عرَفتُه، بحث منشور ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا وأديبًا ومصلحًا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٧م، ص٢٠٨-٢١٣.

(٢) يراجع: الأستاذ الشيخ/ عبد الجواد رمضان، شعراء الأزهر: الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا، مقال منشور بمجلة الأزهر، ١٩٥٠م، ج٢٢ ص٧١٣-٧١٧.

ومقامات الحريري، والزمخشري، إضافة إلى حفظه القرآنَ الكريم.

وبدأ شيخُنا حضورَ دروس "الأستاذ الإمام محمد عبده" بالجامع الأزهر، في عام (١٩٠٣م)، وكان اسمُ الشيخ محمد عبده يملأ البلادَ، فأُسقط في وجدان الشيخ مصطفى حُب علم الإمام وأسلوبه ومنهجه وطريقته، ومَلك عليه شغَاف قلبه، وأفصح الشيخ عبده عما يتوقعه من مستقبلٍ علميٍّ مُشرقٍ لتلميذه النجيب مصطفى.

وينتهز الشيخ مصطفى الفرصة في خُطبه وكتاباته، لنشر المبادئ الإصلاحية التي نادَى بها شيخُه الأستاذ الإمام، وليصرح بما في خاطره عن مكانة شيخه، فيذكره بإجلالٍ وإكبارٍ، بل خصَّه بمؤلَّفٍ مستقلٍّ، فصَّل فيه ذلك، وساهم مع زميلٍ فرنسيٍّ، في ترجمة "رسالة التوحيد" التي ألَّفها شيخُه، إلى اللغة الفرنسية(١).

وما يهمنا في علاقته بشيخه محمد عبده: تصريحه بأن الشيخ محمد عبده كان شغُوفًا بالتصوف؛ (لأن التصوف والتفسير: هما قُرة عَينه، أو كما قال [أي: الشيخ محمد عبده]: مفتاح سعادته)(٢)، غير أن سلوكه التصوف قد أكسبَه خُمولًا وانعِزالًا عن الناس، حتى انتزعه شيخُه من هذا الخُمول، إلى أن يكون صوفيًّا مشاركًا في الحياة العلمية والعامة، فألَّف الشيخ عبده "رسالة الواردات"، وهي تنزِع نحو التصوف، بأسلوبٍ واضحٍ وترتيبٍ حسَنٍ، ضمَّنها كلامًا – عميقًا – في العقائد، ثم في التصوف، ولا ريب أن تصوفه قد أثَّر في طريقته العلمية(٣)، وأن الشيخ مصطفى قد

(١) يراجع: مقدمة أ. محمد عثمان نجاتي، لكتاب شيخه الشيخ مصطفى: محمد عبده، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م، ص٣-١٠. و أ. د. محمود حمدي زقزوق، من أعلام الفكر الإسلامي الحديث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٩هـ، ص٤٥-٤٦.

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرازق، محمد عبده، ص٥١، وينظر أيضًا، ص٤٧-٥٠، ٧٣.

(٣) يراجع: مصطفى عبد الرازق، محمد عبده، ص٤٦-٦٤.

تأثر – بعد ذلك – بمسلك شيخه الأستاذ الإمام عامةً[١].

حصل الشيخُ مصطفى على درجة العالمية الأزهرية من الدرجة الأولى، عام (١٩٠٨م)، وعقيب ذلك اختير مدرسًا للقضاء الشرعي، ثم التدريس بالجامع الأزهر، وسافر إلى فرنسا عام (١٩٠٩م)؛ لإتقان اللغة الفرنسية، والتزوُّد من العلوم الأخرى، حتى تولَّى تدريسَ اللغةَ العربية في كلية ليون، بفرنسا، إلى غير ذلك من أنشطةٍ علميةٍ. ورجع إلى مصر أواخر عام (١٩١٤م)، وعُين موظفًا في المجلس الأعلى للأزهر عام (١٩١٥م)، ثم عُين سكرتيرًا للمجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية، وفي عام (١٩١٩م): أَلقى محاضراتٍ تثقيفيةٍ بالجمعية المختصةِ بتدبير ما عُرف بـ "جامعة الشعب"[٢]، وفي عام (١٩٢٠م): عُين مفتشًا بالمحاكم الشرعية. وتزوج في عام (١٩٢٢م)، وقضى الصيفَ في أوربا، عام (١٩٢٤م)، وطُبعت ترجمته لرسالة التوحيد إلى الفرنسية في عام (١٩٢٥م).

وفي أواخر عام (١٩٢٧م): نُقل من العمل في تفتيش المحاكم، إلى تدريس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، ليكون أستاذًا مساعدًا في الفلسفة، فسلك منهج الحوار والمناقشة لطلابه أثناء تدريسه بالجامعة، بعيدًا عن أسلوب الحفظ والتحفيظ والتلقين العقيم، الذي طالما نقم عليه الشيخ مصطفى. ولما خلا كُرسي أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة: مُنح لقب: أستاذ الفلسفة، في أول أكتوبر سنة (١٩٣٥م)[٣].

وفي أبريل من عام (١٩٣٨م): اختير وزيرًا للأوقاف، وتوالَى تعيينُه بها مرات متعددة، حتى عام (١٩٤٥م)، وكان أول أزهريٍّ يتولى وزارة في مصر، وفي عام (١٩٤٠م): عُين عضوًا في مجمع فؤاد

(١) يراجع: الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، الحمد لله هذه حياتي، دار المعارف، ط٣، ص١٣٠.

(٢) يراجع: مقدمة أ. محمد عثمان نجاتي، لكتاب: محمد عبده، ص٥-٨.

(٣) يراجع: أ. علي عبد الرازق، مصطفى عبد الرازق نبذة عن تاريخ حياته، ص٧٠.

الأول للغة العربية، ومُنح رتبة الباشـوية عام (١٩٤١م). وفي ديسـمبر عام (١٩٤٥م): عُين شـيخًا للجامع الأزهر الشريف، ولم يَسلم من المكر والدسائس، حتى وفاته في الخامس عشر من فبراير، عام: (١٩٤٧م).

صفاته الخُلقية: عُرف من صفات الشيخ مصطفى: الحياءُ الشديد، والهَيبة والوقارُ، والصبر والحلم، والرقَّة البالغة في الإحساس، والعاطفة الكاملة القوية، والتوسُّط في أموره كلِّها؛ فلم يكن جامدًا متحجرًا ولا ليِّنًا متخَلخِلًا.

وجماع ما قيل في الشـيخ مصـطفى بصـفةٍ عامةٍ: قولُ «الشـيخ عبد الحليم محمود»: إن شـيخه مصـطفى عبد الرازق (في الآفاق العليا،... عالِمٌ، فيلسـوفٌ، حيِيٌّ، حليمٌ، كريمٌ بماله ووقته لطلبة العلم ولغيرهم، خرَّج جيلًا من النابهين في الجامعة، وأسهمَ في الحركة العلمية بجهود عظيمةٍ؛ ألَّف، وحاضـر، وكَتب المقالات، ووجه تلاميذه إلى التحقيق والتأليف والترجمة، وفتح مكتبتَه الغنيةَ بشتَّى الكتب ونوادرها، لكل طالبِ عِلمٍ مُجدٍّ)[١].

أما مكانته العلمية: فهي رفيعةٌ، كما يعبِّر عن ذلك: «أ. د. إبراهيم مدكور»، في مقاله الوافي عن صديقه الشيخ مصطفى، بعنوَان: «مصطفى عبد الرازق رئيس مَدرَسةٍ»[٢]، يقول فيه: إن الشيخ مصطفى (رئيسُ مدرَسة وإمامُ جيلٍ،...)[٣]، ويذكر أثرَ الشيخ مصطفى على تلاميذه، وأنه لهم: كـ

(١) الشـيخ عبد الحليم محمود، الحمد لله هذه حياتي، ص٩٢. ويراجع أيضًـا: مقدمة أ. محمد عثمان نجاتي، لكتاب محمد عبده، ص٣. و أ. د. إبراهيم مدكور، مصطفى عبد الرازق رئيس مدرسة، مقال منشور ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا وأديبًا ومصلحًا، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م، ص٢٥، ٢٩.

(٢) ص٢٣-٣١. ويراجع: المقالات المنشورة بالكتاب نفسه، ص٣٩، ٦٧، ٦٩.

(٣) أ. د. مدكور، مصطفى عبد الرازق...، ص٣٠. ويراجع: أ. د. زقزوق، من أعلام الفكر...، ص٤٧-٤٨.

(شيخ الطريقة من مُريديه، وتلك هي القيادة الرُّوحية التي تنقُصنا)[١]، وهي إشارةٌ دقيقةٌ رقيقةٌ إلى تصوُّف الشيخ مصطفى – كما سيأتي –.

وأقول: ممَّا يشهد لمكانته العلمية المرمُوقة – إضافةً إلى كتاباته –: هذا الجيل العتيق الذي تتَلمذ عليه وقادَ نهضةً علميةً، في التأليف والترجمة والنشر، في العلوم العقلية خاصةً، امتدَّت لعقُودٍ طويلةٍ، لا زلنا ننهَل من معينها الرائق، وصرَّح هؤلاء بدقة توجيه أستاذهم الأكبر مصطفى عبد الرازق[٢]؛ فمِمن تتلمذ علَى الشيخ مصطفى: الأساتذة الكبار: «محمود الخضيري، وعثمان أمين، وتوفيق الطويل، وأبو الوفا الغنيمي التفتازاني، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، ومحمد مصطفى حلمي، وأحمد فؤاد الأهواني، وعبد العزيز عزَّت، وعلي سامي النشار»، وغيرهم[٣].

وقد سبق القول: بأن الشيخ مصطفى عَرَف التصوف عن طريق شيخه الأستاذ الإمام، ولم يكن هذا أول عهده بالتصوف، بل إن صلته بالتصوف ترجع إلى ما قبل ذلك، فهو يحكي في مذكراته، تحت عنوان: «رجُلٌ تقيٌّ»، بتاريخ (١٣ يوليه ١٩١٥م): زيارته لأحد مشايخ الطُّرق الصوفية بصعيد مصر، فيقول: (زُرتُ ضحوة النهار: السيد يوسف الحجاجي؛ أصِل بزيارته وُدًّا قديمًا بينه وبين والدي المرحوم)[٤]، ويرى فيه مثالًا للشيخ الصوفي الحق؛ لِما فيه من خُلقٍ رفيع، وتنسُّكٍ وتُقًى لا تكلُّف فيه، خلافًا لتصنُّع الكثير ممن ينتسب إلى الصوفية.

---

(١) أ. د. مدكور، مصطفى عبد الرازق رئيس مدرسة، ص٢٩.

(٢) يراجَع مثلًا: ما ذكره أ. د. عثمان أمين، في بحثه: مصطفى عبد الرازق الإنسان والفيلسوف، ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا وأديبًا ومصلحًا، ص٢٠٣،)؛ بقوله عنه: (تتلمذتُ عليه أكثر من عشرين عامًا، فأحببتُه، وشرفني هو بحُبه، واصطفاني، وكان لي أبًا رُوحيًّا، وكان بِي حفيًّا، ...).

(٣) يراجع: أ. د. أبو الوفا التفتازاني، مدرسة مصطفى عبد الرازق، منشور بكتاب: الشيخ الأكبر..، ص٨٠.

(٤) الشيخ مصطفى عبد الرازق، مقال من مذكراته القديمة، منشور ضمن الأعمال الكاملة، ج٢ ص٣٨٨.

وفي مذكراته القديمة أيضًا، وبعنوان: «الليلة الكبيرة للسيدة فاطمة النبوية»، بتاريخ (٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥م)[١]: يذكر زيارتَه مكان المَولد، قاصدًا هذه الليلة، غير أنه لم يُعجَب بما رأى: مِن مظاهر تُشبه الأفراح الدنيوية، والصَّفير والحركات المصاحبة للذِّكر، والغناء والتصفيق، إلى آخره. فلم يُنكر الشيخ مصطفى أصلَ الاحتفال، بل قصد الحُضورَ، غير أنه لم يَجد بُغيتَه.

وأما عن منهجه: فقد ذكر تلامذته – الذين لقَّبوه بـ «الفيلسوفِ الكاملِ، والثائرِ الجوَّاني، والأديبِ الفنان، والشيخِ الأكبرِ»[٢]–: أن منهجَه العامَّ: مزيجٌ من الطريقة الأزهرية التقليدية، إضافة إلى المناهج الغربية الحديثة المنضبطة[٣]. يصحِّح الأفكارَ الخاطئةَ في التراث، خاصةً ما يُروِّج له المستشرقُون. ويُبرز مواطنَ الأصالة والابتكار في تراثنا الإسلامي. ويعتمد على المصادر الأوَّلية للبحث، خاصةً المخطوطات التي لم تُنشر، وسيأتي شيءٌ من ذلك: عند كلامه على عدِّ الصوفية فِرقةً. ثم هو في أبحاثه: واسع الاطلاع، يتحرَّى الدقة، لا يُغفل شيئًا من المعاني المتعلقة بمحل البحث، يجمع بين الأفكار المتفرقة في سلكٍ منظمٍ؛ بغية استخراج الحقيقة من وجهات النظر المتعددة، وإلا كانت مَبتُورةً. وهو في تمرين طلابه: يبادلهم الاحترامَ، ويشجِّعهم على حرية الرأي، ويوجِّه النقد في رفقٍ[٤].

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق، مقال من مذكراته القديمة ، ج٢ ص٣٨٩. ويراجع أيضًا: أ. علي عبد الرازق، مصطفى عبد الرازق..، ص٢٩، ٨٥، ١٠٠.

(٢) يراجع: أ. د. عثمان أمين، مصطفى عبد الرازق الإنسان والفيلسوف، ص٢٠٥. أ. د. أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر– القاهرة، ط٣، ص٢٦٥.

(٣) وهذا ما قصده أ. د. مدكور، بقوله في مقاله، ص٣٠: إن الشيخ مصطفى «قرَّب الأزهرَ من السربون». ويراجع: أ. د. زقزوق، من أعلام الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٦.

(٤) يراجع: أ. د. مدكور، مصطفى عبد الرازق..، ص٢٨. أ. د. التفتازاني، مدرسة..، ص٧٥–٧٩.

مؤلفاته : لقد جُمعت مؤلفاتُه في أربعة أجزاء، بعنوان: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، تحقيق ودراسة: د. عصمت نصار، نشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٩م. ومؤلفاته – ومنها المقالات – متنوعةٌ، فمنها: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، فيلسوف العرب والمعلم الثاني، الدين والوحي والإسلام، التصوف، البهاء زهير، الإمام الشافعي، وغيرها.

والظاهر وجود مؤلفاتٍ أخرى للشيخ مصطفى، منها المفقود، ككتابٍ له في المنطق، وكتابَين في الأدب، ونحو ذلك، وآمُل أن يكون هذا البحث بدايةً للنظر فيما جُمع من تراث الشيخ مصطفى، والبحث عن ما لم يُنشر بعد.

المبحث الأول

التصوف الإسلامي ومبادئه عند الشيخ مصطفى عبد الرازق

ظهر مما سبق: أن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان مثالًا حيًّا للأستاذ الجادِّ والفيلسُوف المخلِص والصُّوفي الحق[(١)]، ومن أدقِّ ما قيل في ذلك: إن الشيخ مصطفى نفثَ في التصوف الإسلامي روحًا جديدةً[(٢)]، مع اعتباره التصوفَ الإسلاميَّ مندرجًا تحت الفلسفة[(٣)]، لذا أبدأُ بعرض رُؤيته عن التصوف الإسلامي، فيما يلي:

أولاً: رأْي الشيخ مصطفى في تاريخ كلمة "تصوُّف"

١- يرى الشيخ مصطفى: أن المسلمين في عهد النبي ﷺ لم يتسمَّوا إلا بتَسمية (الصُّحبة له ﷺ)، ولا تسمية أفضل من ذلك، ثم سُمِّي مَن تلاهُم: بـ (التابعين)، ثم فشا الإقبالُ على الدنيا، فعُرف الخواصُّ المُقبلون على الدِّين المُتجنِّبون الانغِماس في متاع الدنيا: باسم (الزُّهاد)، ولما ظهرت الفِرَق الإسلاميةُ، عُرف العُباد من أهل السنة باسم: (الصوفية والمتصوفة. واشتهر هذا الاسم قبل

---

(١) يمكن استخلاص المصادر التي رجع إليها الشيخ مصطفى في كتاباته عن التصوف، وأهمها: المقدمة لابن خلدون، واللمع للطوسي، والرسالة للقشيري، ومدارج السالكين لابن القيم، والإحياء للغزالي، والفِصَل لابن حزم، وعوارف المعارف للسهروردي، وكتابات ماسنيون: وقد لا يسلِّم بكلامه، بل ينقده، (يراجع: التصوف، بدائرة المعارف الإسلامية، ص١٢٠). ويرجع إلى: الصوفية والفقراء لابن تيمية، مع تصريحه في (التصوف، ص٦٢): بأن ابنَ تيمية لا يُدرَج ضمن طائفة الصوفية. ووصَفَ تلميذُه أ. د. محمد مصطفى حلمي، ابنَ تيميةَ: (بالعالِم الحنبَلي المُتطرِّف). وذلك في كتابه: ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، ط٢، دون تاريخ، ص١١٧.

(٢) يراجع: أ. د. عثمان أمين، مصطفى عبد الرازق الإنسان والفيلسوف، ص٢٠٥.

(٣) يراجع: الشيخ مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م، ص١١، ٣١، ٧٩. و د. سعيد زايد، مصطفى عبد الرازق وكتابه التمهيد، ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا...، ص٢٢٦-٢٢٧.

المئتَين من الهجرة، فهو اسمٌ محدَثٌ بعد عهد الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)[١].

ولفظة "تصوُّف" في أول إطلاقها: كانت تحوِي معاني الزُّهد والعبادة والفقر، وكلها تدُور حول الاعتناء بشدةٍ بأمر الدين الإسلامي ومراعاة أحكام الشريعة، إنها لفظةٌ تدل على معاني الكمال في التمسك بالشرع، في وقتٍ انهمك الناسُ فيه في زخارف الدنيا حتى كاد الورع يختفي من النفوس بعدما غرَسه الدين فيها، فخالف الصوفيُّ هؤلاء، بسُلوكه مسلك الورع والفقر، والتمس غيرُه المال وتطلَّع إلى الغِنى. فكلمة "تصوُّف" لا تعني شيئًا غيرَ ذلك، أي: الاعتناء بأمر الدين ومُراعاة أحكام الشريعة، ومظاهر ذلك: تتمثل في الفقر والزهد والتصوف[٢].

٢- ونَقل ما يفيد: أن اللفظة قد عُرفت في عهد التابعين (رضي الله عنهم)[٣]، كالحسَن البصري (ت: ١١٠هـ)، وسفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)، وسُمعت في كلام ابن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، وسليمان الداراني (ت: ٢١٥هـ)، بل ذكر عن (السرَّاج الطوسي، ت: ٣٧٨هـ): أن اللفظة عُرفت قبل الإسلام؛ فقد ذكروا: وجود رجُلٍ يقال له (صُوفة)، يَقدُم مكة ليطوف بالبيت، وينصرف[٤]، مبررًا محاولة الطوسي: (أن

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق، التصوف، ص٥٠. وهو ناقلٌ عن: القشيري، في الرسالة، نشر: مكتبة الإيمان بالقاهرة، دون تاريخ، ج١ ص٦٨-٦٩. ويراجع: السراج الطوسي، اللمع، حققه وقدم له: أ. د. عبد الحليم محمود، و أ. طه عبد الباقي سرور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٢٠م، ص٤٢. وابن خلدون، المقدمة، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ج٣ ص٩٨٩.

(٢) يراجع: الشيخ، التصوف، ص٦٢، ٧٩. مع ملاحظة: أن «التصوف، والزهد، والفقر»: ليست مترادفةً، فالتصوف: فوق الزهد والفقر، ويشملهما، ولا عكس. يراجع: السهروردي، عوارف المعارف، دار الكتب العلمية- بيروت، دون تاريخ، ص٨١. ونَقل أ. د. محمد مصطفى حلمي، عن شيخه الشيخ مصطفى: ما ذكره هنا، في: الحياة الروحية في الإسلام، ص٨٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

(٣) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٥١-٥٤.

(٤) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٥٠-٥١. ويراجع: الطوسي، اللمع، ص٤٢-٤٣.

يبرِّئ الصـوفيةَ من انتحال اسـمٍ مبتدَعٍ، لَم يعرفه الصـحابةُ ولا التابعون)[١]. ونقل: أن اللفظة لم تشتهر في القرون الثلاثة الأولى، بل بعدها.

٣- كذا يسُوق رأيَ الأستاذ ماسنيون (ت: ١٩٦٢م):

أن اللفظة أُطلقت أول مرةٍ علَى (عبدك الصُّوفي، البغدادي، ت: ٢١٠هـ تقريبًا)، فهو أول من عُرف بالصوفي، وهو لفظٌ أُطلق على زُهاد الشيعة في هذه الفترة، بل على بعض الزنادقة، فماسنيون يقصد: شهرة اللفظة في بغداد فقط، لا شهرتها على الإطلاق.

وتصريح ماسنيون كذلك: بأن اللفظة مفردةً – صوفي – قيلت أول مرة علَى: جابر بن حيان (ت: ٢٠٨هـ) صاحب الكيمياء الشيعي، في الكوفة، وعلى: أبي هاشم الصوفي (ت: ١٥٠، وقيل: ١٦٢هـ)[٢]. بينما عُرفت اللفظة بصيغة الجمع – صوفية – في عام: (١٩٩هـ)، إثر فتنةٍ بالإسكندرية، تكاد تكون وثيقةَ الصلة بالشيعة في الكوفة، وعبدك الصوفي: هو آخر أئمة الطور الشيعي المذكور[٣].

والحاصل: أن اللفظة – كما يرى ماسنيون – انطلقت من الكوفة، مِن رحِم التصوف الشيعي. ولَم يعقب الشيخ مصطفى على ما ذكره ماسنيون، لعل ذلك: لمُنافاته الواضحة لما سبق عرْضه، من أن اللفظة عُرفت قبل هذا التاريخ[٤].

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٥٤. و أ. د. محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية، ص٨٥.

(٢) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٥٥-٥٧. وفي الآراء المذكورة: أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، نشر: دار السعادة، ١٣٩٤هـ، ج١ ص١٧. و أ. د. محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية، ص٨٦-٩٠.

(٣) يراجع في رأي ماسنيون: التصوف (مع بحث الشيخ مصطفى)، ص٢٦-٢٨.

(٤) ويراجع: الطوسي، اللمع، ص٤٥-٤٨. أ. د. أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف، ص٧٩.

ثانيًا: اشتِقاق لفظة "تصوُّف"

يذكر الأستاذُ مصطفى عبد الرازق الآراءَ التي قيلت في ذلك، وحاصلها[١]:

١) القول بأنه لفظٌ جامدٌ كاللقب، وليس مشتقًّا، وذكَر في ذلك كلامَ (الإمام عبد الكريم القشيري، ت: ٤١٥هـ) في رسالته[٢].

٢) والقول بأنه مشتقٌّ، مع تعدُّد الآراء في أصل اشتقاقه:

١- فقيل: مشتقٌّ من الصفاء والصفْوِ؛ أي: صفوِ قلوب الصوفية، وصفائِهم مع الله، بحيث لا يشغلهم عنه شاغلٌ، وصفوِهم من كدر الجهل؛ بما أطلعهم الله عليه.

٢- وقيل: باشتقاقه من الصُّوف؛ لكثرة لُبس الزهاد للصوف، فنُسبوا إلى ظاهر اللُّبسة، وهي تعبِّر عن علومهم وأعمالهم وأخلاقهم وأحوالهم الشريفة المحمودة، كتسميته -تعالى- خواص أصحاب سيدنا عيسى عليه السلام بالحواريين، نسبةً إلى ظاهر لُبسهم، فـ(لُبس الصوف كان دأبَ الأنبياء - عليهم السلام - والصدِّيقين، وشعارَ المساكين المتنسكين)[٣].

٣- وقيل: إنهم يُنسبون إلى الصُّفة؛ وهي التي نُسب إليها كثيرٌ من أصحاب النبي ﷺ، و(هم زُهادٌ من مهاجري الصحابة، فقراء غُرباء، كانوا سبعين، ويَقلُّون حينًا ويكثرون، لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد، يَسكُنون صُفة المسجد، وهو موضعٌ مظلَّلٌ في مسجد المدينة)[٤].

ويردُّ الشيخ مصطفى هذا القول: بأنه لا يستقيم على قواعد اللغة؛ إذ القياس: صُفيٌّ.

---

(١) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٥٧.

(٢) يراجع: القشيري، الرسالة، وشرحها، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ج٤ ص٣.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٥٨-٥٩. ويراجع: الأصبهاني، حلية الأولياء، سابق، ج١ ص٨٥.

(٤) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٠. ويراجع: السهروردي، عوارف المعارف، ص٨٤.

٤- ويضعِّف قول مَن قال:

أ- إنها نسبة إلى الصف الأول؛ لكون الصوفية - في نظر هذا القائل - في الصف الأول من حيث القرب منه -تعالى-.

ب- إنها نسبة إلى صوفة القفا: وهي شعرةٌ تتدلَّى في نقرة القفا.

جـ- إنهم يُنسبون إلى صُوفة: الغوث بن إلياس بن مضر: قيل: جعلتهُ أمه خادمًا للكعبة، بعدما جعلت في رأسه صوفةً.

ويرجح: القولَ باشتقاقه من الصُّوف؛ لقُربه إلى العقل، واتساقه مع قواعد اللغة، ولذهاب كبار العلماء إليه، فيقول في ذلك: (وأرجح الأقوال وأقربُها إلى العقل: مذهب القائلين بأن الصوفي نسبةٌ إلى الصوف، وأن المتصوف مأخوذٌ منه أيضًا، فيقال: تصوَّف: إذا لبس القميص، فلهذا القول وجهٌ سائغٌ في الاشتقاق، وهو مختارُ كبار العلماء من الصوفية،... ومن غيرهم)[١].

وترجيحه لذلك، لا يعني ردَّ ما سواه جملةً، بل ينسب إلى جمهرة الصوفية: أنهم (يميلون إلى ردِّ اسمهم إلى الصفاء، وإن لم يكن لذلك وجهٌ ظاهرٌ في قواعد اللغة)[٢].

أما التعريف الاصطلاحي للتصوف:

فلم يذكره الشيخ مصطفى صراحة - على قدر بحثي في آثاره -، لكن يمكن فهمه مِن مثل قوله عن التصوف: (فهو العِلم الذي يصوِّر المَثل الخُلقي الإسلامي الأعلى،... الصوفية: هم بُناة المَثل

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٢. وممن نقل هذا الرأي عن الشيخ مصطفى: الشيخ عبد الحليم محمود، في كتابه: أبحاث في التصوف، نشر: دار الكتب الحديثة، ط٨، ١٣٩٤هـ، ص١٧٤. ويراجع: السهروردي، عوارف المعارف، ص٨٣. د. محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية، ٨٦-٩٠.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٢. وممن رجَّح هذا الرأي: ابنُ عجيبة، في: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، نشر: عالم الفكر، دون تاريخ، ص٢٢.

الأخلاقي الإسلامي الأعلى)[١]، وتصريحه: بأن التصوف في الأصل: عبادةٌ وزُهـــدٌ، وعنايةٌ بحال القلوب، يتزيَّى أهلُه بلُبس الصوف، كما عزَوتُ في هوامش هذا البحث.

وهي إشـــارة منه إلى عُمق الصـــلة بين الأخلاق والتصـــوف في الإســـلامي، فالأخلاق مدخلٌ للتصوف في الإسلام[٢].

وللشيخ مصطفى رؤيةٌ دقيقةٌ، تتعلق بالأخلاق[٣]، خلاصتها: أن الأخلاق أسمَى مِن العلم ومن الفن، بل الأخلاق أعلى الفنون؛ لأن موضـــوعها: جمالُ الروح، فالأخلاق عنده: علمٌ يضـــع قواعد ثابتة للســـلوك عامةً، يبلغ بســـالكه: مرتبةَ الحكمة؛ لثبات ســـلوكه واســـتقراره، مصـــدر الثبات: فِعل الخير، لا بمعنى الملاذِّ المادية، بل يتمثل في: جمال الروح، ومظاهره تتجلى في: المحَبة والســـماحة والسلام، والائتلاف والتعاطف والتجاوُب بين الأفراد.

ثالثًا: ضوابط البحث في التصوف الإسلامي.

لقد وضـع الشـيخ مصـطفى ضـوابط، لا بد من مراعاتها لمَن رامَ دراسـةَ التصـوف في الإسـلام، وإلا لم يكن مسلكُه علميًّا، وهي من أنفَس ما يُقال في ذلك، تتمثَّل في:

١ – أن دراسة موضـوعات التصـوف ليسـت بالأمر الهيِّن الميسُـور لمَن وجد نفسَـه أهلًا للخوض في العلوم الأخرى، بل إنها تحتاج إلى جهدٍ وعناءٍ واســـعٍ، ودرايةٍ واســـعةٍ بالمصـــطلحات الخاصـــة بالصوفية، الدائرةِ بينهم[٤].

---

(١) الشـيخ مصـطفى، التصـوف، ص١١١-١١٢. ويراجع أيضًـا، ص١٢٠-١٢١. والشـيخ عبد الحليم محمود، أبحاث في التصوف، ص١٦٩-١٨٦، ٢٤٩.

(٢) يراجع: أ. د. التفتازاني، مدخل..، ص١١، ١٠٣. أ. د. أحمد الطيب، في المنهج الأزهري، نشـــر: دار القدس العربي، ط٢، ١٤٤٠هـ، ص٨.

(٣) نقَل هذه الرؤية: تلميذه: د. عثمان أمين، في مقاله: مصطفى عبد الرازق الإنسان والفيلسوف، ص٢٠٣.

(٤) يراجع: القشيري، الرسالة، ج٢ ص٢١. أ. د. محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية..، ص١٤٠.

٢- وفوق ذلك: لا بد للباحث في التصوف (من إدراكٍ دقيقٍ يُوازن بين أذواقهم الغَيبية وبين آراء غيرهم من أهل النظر الخالص أو النظر المشترك)[١].

٣- وهذا الإدراك أمرٌ خطيرٌ؛ إذ لا بد للمُقبِل على ذلك: مِن التجرد من شوائب الهوى ونزعَاته، والتحلِّي بالإنصاف والموضُوعية في حُكمه، والتنازُل - قدر المستطاع - عن بعض المألوفات المادية؛ ليصيرَ أهلًا لمُعايشة هذه الأجواء الروحانية، فيتذوَّق قدر جهده؛ ليكون حُكمه على الشيء مسبُوقًا بمعرفته، معرفةً تليق بطبيعة المحكوم عليه.

أمَا وقد اقتحم مجالَ البحث في التصوف، وتصدَّر للحكم عليه مَن لم تتوافر فيه الضوابط المذكورة، خاصةً من لم يُحط علمًا بمقصُود الصوفية من اصطلاحاتهم: فقد فُتح بابٌ من العنَت الشديد، لقيَه الصوفيةُ مِن أمدٍ بعيدٍ، سببُه: (غُموضُ ألفاظهم وإشاراتهم، وما تُوهِمه ظواهرُها من الزَّيغ والضَّلال، ولقد اضطر ابنُ عربي[٢] - لكي يضمن لنفسه السلامةَ والعافيةَ - أن يضع شرحًا لديوانه: ترجمان الأشواق)[٣]، أفاد في شرحه هذا: ما يقصد من كلامه، وأظهَر فيه ما يخفى من معانيه على الغير، وما يرى أنه قد يُشكِل: عيَّنه؛ ومقصودُه من ذلك: سد الباب على مَن يؤوِّل كلامَه على غير الوجه المقصود منه.

---

(١) الشيخ مصطفى، تقدمة كتاب: ابن الفارض والحب الإلهي، أ. د. محمد مصطفى حلمي، ص٧.

(٢) هو: مُحيي الدين، الملقب: بالشيخ الأكبر، محمد بن علِيّ الطائي، مؤلِّف الفتوحات المكية، وفصوص الحِكم. اختلفت فيه الآراء، وتباينَت فيه الأقوال: ما بين حاكمٍ بأنه من أهل الولاية والعرفان، وحاكمٍ عليه بالزندقة والإلحاد، ومتوقفٍ في شأنه، وفاته عام: (٦٣٨هـ-١٢٤٠م). يراجع: د. محمد أحمد مصطفى، الرمزية عند محيي الدين ابن عربي، نشر: دار القدس العربي بالقاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ج١ ص١١-١٢٢.

(٣) الشيخ مصطفى، تقدمة لكتاب: ابن الفارض والحب الإلهي، ص٧. ويُراجع في هذه التقدمة الدقيقة: إشارة الشيخ مصطفى إلى تكرُّر الطعن على الصوفية، وثنائه على ابن الفارض، والأبحاثِ الصوفية (الجادة). وأيضًا: د. محمد مصطفى، الرمزية عند محيي الدين ابن عربي، ج١ ص١٢٣، ٢٣٠.

رابعًا: أهمية التصوف في الإسلام.

إبَّان الحروب العالمية التي دارت منذ قرنٍ من الزمان أو يزيد، وما أعقبها من تبعاتٍ وانصرافٍ عن الحياة الروحية، ينادِي الشيخ مصطفى: بالتحقُّق بهذه الحياة، وهي حياةٌ دينيةٌ، عمادها: اعتبار الروح الإنساني (كائنًا أشرفَ من الجسم، مغايرًا له في جوهره، باقيًا بعد فنائه، يحاسبه ربه، ويوفيه جزاء عمله في الدار الآخرة)[١]، حياةٌ خُلقيةٌ تهتمُّ بالروح والسِّر، فقيمة الإنسان لا تكمُن في جسده المادي، بل جوهرُه ولبُّه: هذا الروح الشريف، تتَّفق الأديان السماوية على هذه العقيدة، والأديان الأُخر كذلك تجتمع عليها.

وكأنَّ الشيخ مصطفى استوحَى هذا المعنى من مثل قوله – تعالى-: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[الشعراء: ٨٨-٨٩]، ومما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- ، أن النبي ﷺ قال: (إن الله لا ينظُر إلى صوَركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٢]. والظاهر أن الدكتور محمد مصطفى حلمي – التلميذ الوفيّ للشيخ مصطفى –، استلهم من هذا المقال عنوانَ دراسته الدقيقة: «الحياة الرُّوحية في الاسلام».

ويضيف الشيخ مصطفى: أن دعوات التربية الحديثة إلى تهذيب الذوق عن طريق فُنون الجمال، يقابله عندنا: تحقيقُ التربية عن طريق التصوف؛ إذ (التربية الصوفية تدعو إلى تلطيف السر بأنواع من الرياضة؛ كالعبادة المشفوعة بالفكرة،...)[٣]، ويُعين على تلطيف السر: فكرٌ لطيفٌ، وعِشقٌ عفيفٌ، يستلهم صاحبُه من شمائل المعشوق، لا من سُلطان الشهوة[٤].

---

(١) الشيخ مصطفى، حياة العالم الروحية بعد الحرب، مقال، ضمن الأعمال الكاملة، ج٢ ص٢٩٧.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب- باب: تحريم الظُّلم، ج٤ ص١٩٨٧، برقم ٢٥٦٤.

(٣) الشيخ مصطفى، كلمة في احتفال الجامعة المصرية بذكرى الإمام محمد عبده، نُشرت ضمن الأعمال الكاملة، ج٢ ص٣٧٣.

(٤) أحال الشيخ مصطفى هنا، إلى قول ابن سينا: (العارف هشٌّ بشٌّ بسامٌ،...). وذلك في كتابه: الإشارات والتنبيهات، تحقيق: د. سليمان دنيا، نشر: دار المعارف- دون تاريخ، القسم الرابع، ص١٠١.

خامسًا: مَبنى التصوف في الإسلام

يذكر الشيخ مصطفى، أن طريق التصوف في الإسلام: يَسلُكه المريد على شيخٍ: ذي بصيرةٍ نيِّرةٍ، وقلبٍ طيبٍ، ومعاملةٍ سمحةٍ سهلةٍ، (يَقوى إيمانُه بتفهم القرآن، وبضُروبٍ سهلةٍ من العبادة والرياضة. وأمثال هذا الشيخ: يوجَدون – شُذوذًا – بين الأعداد الكثيرة من رجال الطرق)[١]، إشارةً منه إلى: صفات الشيخ الصوفي الحق، وعدمِ كفاءة كل من يتصدر للمشيخة في الطريق، بل النادر منهم مَن ينطبق عليه مفهوم "الشيخ".

ويتابع: أنه متى وُجد الشيخُ – الحق –، فلِصفاء نفسه وقوة إيمانه تأثيرٌ روحيٌّ فيمن وُجد عنده استعدادٌ من المُريدين، مع ملحظٍ دقيقٍ: أن الصفاء والقوة المذكُورَين (ليست مستمَدةً من ناحيةٍ علميةٍ)[٢].

وأقول: كلامه يشير إلى مَكمن الخلْط واللَّبس عند كثيرٍ ممن يحاكم التصوفَ الإسلاميَّ، ولمَّا يسلكه بَعدُ على شيخٍ حقٍّ، بل يكتفى بمقاييس العلوم الظاهرة فقط، وهي غير كافيةٍ، وهو ما يفيده قول الشيخ مصطفى: (وهذه الأفاعيل الرُّوحية: لا تدخُل في متناول النقد العلمي، خصوصًا عند فقدان المراجع التي يعتمد عليها في البحث...)[٣].

وكلامه تحقيقٌ مختصرٌ كافٍ، يُبيِّن منزلة "الشيخ" في التصوف، وأنه لا يكون "شيخًا" إلا إذا كان منضبِطًا بضوابط الشريعة الإسلامية، وهذا ما أكده أئمةُ التصوف في كل حينٍ[٤].

وفي كلامه تحذيرٌ من الاكتفاء بالأخْذ مِن كُتب التصوف، فهذا لا يصيِّر صاحبَه صُوفيًّا، ولا

---

(١) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٢. ويراجع: أ. د. التفتازاني، مدخل..، ص١٠٨، ١٧٠، ٢٣٥.

(٢) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٢.

(٣) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٢.

(٤) يراجع: القشيري، الرسالة، ج٤ ص٣٦. والشيخ عبد الحليم محمود، أبحاث في التصوف، ص٢٥٧.

يتأتَّى منه الكلام على التصوف، وهذا ما نبه إليه محققو الصوفية، مِن (أن أخص خواصهم: ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذَّوق والحال وتبدُّل الصفات)[١].

ويذكر: أن التصوف مبنيٌّ على العبادة والمجاهدة، يُنظر فيما يعقبها من مواجد وأذواق؛ (فإنه ينشأ عن كل مجاهدةٍ حالةٌ، هي نتيجةٌ لتلك المجاهدة؛ كالحُزن والسُّرور والنشاط والكسَل)[٢].

وكلامه صريحٌ: في أن الصُّوفي الحقَّ: لا بد أن يسلُك طريق العبادات كما يقررها الإسلام، ولْيأخذ نفسَه بمجاهدة النفس، ثم لْيحاسِب نفسَه على أفعاله وتُروكه على السَّواء، مختبرًا سلامتَها من أيِّ تقصيرٍ، وأمارة ذلك: الأذواق والمواجيد التي تترتب على الأفعال والتُّروك، (ولا يزال يترقَّى في ذلك من مقامٍ إلى مقامٍ، حتى يصِل إلى المعرفة)[٣].

ومما يحسُن ذِكره هنا: تأكيد تلامذة الشيخ مصطفى[٤]: على أن أساس الفضائل عند شيخهم: أن تُحاسَب النفسُ على كل فعلٍ وتركٍ على السواء، وكان الشيخ مصطفى -رحمه الله- متخلقًا بذلك، مشددًا على نفسه في مُراقبة الحركات والسكنات، باستمرار.

ويذكر الشيخ مصطفى: أن مصدر التحقُّق بالمعرفة حينئذٍ: هو الكشفُ[٥] الناتج عن الرياضة

---

(١) الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص١٣٨. ويراجع: ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص٢٦٢. والشيخ عبد الحليم محمود، أبحاث في التصوف، ص٢٥٧-٢٥٩.

(٢) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٢-٣٣.

(٣) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٣. والشيخ مصطفى يُحيل في ذلك: إلى "المقدمة، لابن خلدون"، في الكلام الخاص بالتصوف. يراجع: ابن خلدون، المقدمة، ج٣ ص٩٩٠. والقشيري، الرسالة، ج٢ ص٢٦.

(٤) يراجع: أ. د. التفتازاني، مدرسة مصطفى عبد الرازق، ص٧٣. و أ. د. زقزوق، من أعلام الفكر، ص٤٨.

(٥) الكشف: (هو إزالةُ السِّتر الحسِّي، باستنشاق الأسرار الإلهية من وراء الحُجب البشرية). شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، إحكام الدلالة، بهامش الرسالة، للقشيري، ج٢ ص٧٩. مع تأكيد أئمة التصوف: على أن الكشف الصحيح: لا يتعارض مع الشرع؛ إذ الصوفي في كل أحواله منضبطٌ بضوابط الشريعة. الرسالة، ج١ ص١٤٣.

والمجاهدة، وهو أعلى المصادر وأصفاها، ولن يكون كذلك إلا (بشرط: أن يتخلَّى عن ذاته وعن النظر بعقله الخَداع بطبعه)[١]، ومتى تحقَّق: أنعم الله عليه بالكشف الذي هو أشرفُ من العقل وأكمل[٢]، فيَشترط: استسلامَه لهذا الكشف، والتخلِّي عن الذات (حتى يَفنَى[٣] في الله)، وهذا الطريق: لـ (أصحاب مذهب التصوف،... يسميه الفرنجة: Mysticisme)[٤].

وهذا رأيٌ قيل في سبيل الوصول إلى المعرفة، خلافًا لرأي الشُّكاك؛ الذي يقطعُون باستحالة الوصول إلى معرفة حقيقية[٥]! وخلافًا لـ (مذهب "أهل النظر"؛ الذين يقولون: إن القوَى الإنسانية المدرِكة تستطيع معرفةَ الحقيقة)[٦]، بشرط: أن يُحسن الناظرُ استخدامَ هذه القوَى؛ بمراعاة قواعد ترتيب المقدمات، والتمكن من التمحيص.

والحاصل: أن الشيخ مصطفى سلك الطريقَ الصوفيَّ، فهو يؤمن به، ويقول بالكشف كطريقٍ للمعرفة، وبالفناء في الله، كثمرةٍ للطريق، ويرى أنه ليس الكل مؤهَّلًا لأن يكون شيخًا صوفيًّا أو مريدًا في الطريق، وهو ما أكده تلميذه: الشيخ عبد الحليم محمود، بعد ذلك[٧].

---

(١) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٣.

(٢) يراجع: الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٣، ٧٣. والغزالي، المنقذ من الضلال، ص٩٠، ١٤٢.

(٣) يراجع: الغزالي، المنقذ من الضلال، ص١٤٣. ومما عُرف به الفناء عند الصوفية: (أنه سُقوط الأوصاف المذمومة). القشيري، الرسالة، ج٢ ص٦١. وقد يعنون به: عدمَ ملاحظة المريد لإرادته؛ ليَبقى بإرادة الله. يراجع: الطوسي، اللمع، ص٤١٧. السهروردي، عوارف المعارف، ص٣٢٨. التفتازاني، مدخل..، ص١٠٩.

(٤) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٣. ويقارَن: بما ذكره الشيخ عبد الحليم محمود، في أبحاثه، ص٢٥٤؛ حيث ميَّز بين التصوف الإسلامي و«الميستيسيسم المسيحي»، وأن العلاقة بينهُما: التَّبايُن.

(٥) يراجع عن هؤلاء الشُّكاك: الشيخ عبد الحليم محمود، أبحاث في التصوف، ص٣٣٧-٣٥٤.

(٦) الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٣٤. ويراجع: الشيخ عبد الحليم محمود، أبحاث، ص٣١٩-٣٣٠.

(٧) يراجع: الشيخ عبد الحليم محمود، أبحاث، ص٣٧٧.

سَادسًا: هل تُعدُّ الصوفيَّة فِرقةً؟

من أمارات اهتمام الشيخ مصطفى بالتصوف الإسلامي: أنه أعدَّ بحثًا، ألقاهُ في مؤتمر تاريخ الأديان، الذي عُقد في ليدن عام: (١٩٣٢م)، وعنوانه: «الصوفية والفِرَق الإسلامية»، نشَره «أ.د.علي سامي النشار»، في مقدمة نشرته لكتاب: «اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، ت:٦٠٦هـ»؛ اعترافًا بالجميل لشيخه الأستاذ مصطفى عبد الرازق[١]، وفيه يُورد الآراءَ في عدِّ الصوفية فرقةً، بما حاصله: اضطرابُ المؤرخين للفِرَق في ذلك، فمنهم من يعُد الصوفية فرقةً، ومنهم من يرى خلاف ذلك، ومَن يَعرض لآراء الصوفية، دون عدِّهم فرقةً، ومَن يعدُّ التصوف مذهبًا من مذاهب الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة، فيذكر الشيخ مصطفى[٢]:

١- أن كلام ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ) في كتابه "الفهرست"، وكذا الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في كتابه "المنقذ من الضلال": مُشعِرٌ بِعدِّ الصوفية فرقةً.

٢- وأن الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، وكذا الشعراني (ت: ٩٣٧هـ) في بعض رسائله عن العقائد الزائفة: لَم يعُدَّاها فرقةً. وممن اهتم بالتأريخ للفِرق: مَن عرض لآراء الصوفية، دون أن يعدَّهم فرقة؛ كالشيخ أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) في كتابه: "مقالات الإسلاميين"، وعبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) في كتابه: "الفَرْق بين الفِرَق".

---

(١) يراجع: مقدمة أ. د. النشار، للكتاب المذكور، ص١-٥، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. وبحث الشيخ مصطفى، ص٦ وما بعدها.

(٢) يلاحظ: رُجوع الشيخ مصطفى إلى ما كُتب في ذلك: من المخطوطات قبل طباعتها، وعدم اكتفائه بالاستناد إلى مخطوطةٍ واحدةٍ للكتاب، ونقْده الداخلي للمخطوطة. يراجع له: الصوفية والفرَق، ص٧-١٤. وهو في ص١٤: يفضل نسخةً خطيةً على غيرها، من كتاب اعتقادات الفِرق للرازي، ويقول عن هذه النسخة: (هي في الغالب أصلح وأسلم من الخطأ). ثم تذييله لبحثه المذكور، ص١٦: بتمنِّيه نشر مخطوطة الرازي، وقد وجه تلميذَه النشار - فيما بعد لنشرها -، ونشَر المخطوطات المهتمة بالفِرَق. وقد سبقت إشارة لذلك.

٣- وأن كلام ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) عن ذلك في كتابه "الفِصل": مضطربٌ؛ فتارة يسلك مسلك الشيخَين: الأشعري والبغدادي، وتارةً يفيد كلامُه: أن الصوفية فرقةٌ.

٤- وأن بعضهم يعدُّ التصوف مذهبًا من مذاهب الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة، كـ: أبي المظفر الإسفراييني (ت: ٤٧١هـ) في كتابه: "التبصير في الدين". وكذا: الشيخ عباس السكسكي الحنبلي (ت: ٦٨٣هـ) في كتابه: "البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان".

٥- كذا اهتمام محقِّقي أهل السنة بالكلام على الصوفية ومعتقدهم، في أشهر المتون السُّنية، مثل: جمع الجوامع، للتاج السبكي (ت: ٧٧١هـ)، واهتمام شُراح هذه المتون بتجلية ما يتعلق بذلك[١].

ثم يعقِّب شيخُنا على هذه المسالك، بأن المُهتمِّين بحصر الفِرق:

١) تقيَّدوا بحديث الافتراق، المُنبئ بافتراق الأُمة إلى اثنتَين وسبعين فرقة أو ثلاث وسبعين، على أن العدد المذكور: على حقيقته، وينقل عن ابن حزم: (أن هذا الحديث لا يصحُّ أصلًا من طريق الإسناد)[٢].

٢) ومنهم مَن أظهر (الميلَ إلى المَنازع الصوفية أو بُغضها، ولم يعْن أولئك المؤلِّفون: بتمييز مذهب الصوفية، باعتباره مذهبَ فرقةٍ مستقلةٍ، ويتبين فِرقهم الفرعيةَ بعد ذلك)!

وهذا ما التفت إليه الفخر الرازي، ثم تدارَكه في كتابه «اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين»، فعدَّ الصوفية مذهبًا، ثم عدَّد الفِرقَ المندرِجةَ تحته، ونقَل الشيخُ مصطفى كلامَ الفخر الرازي في ذلك كاملًا، من نسخةٍ خطيةٍ، ثم عقَّب: بأن هذا الفصل: (عظيمُ الشأن، من وجهَين: أما أوَّلهما:

---

(١) وأقول: هذا ظاهرٌ من مثل متون: الجوهرة، والخريدة. وكثير من كتابات العلامة السنوسي (ت: ٨٩٥هـ).

(٢) الشيخ مصطفى، الصوفية والفرَق، ص١٢. ويراجع عن الحديث المذكور: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي بالقاهرة- دون تاريخ، ج٣ ص١٣٨. الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، ط٢، ص٧٢-٨٦.

فهو أنه – فيما نعلم – فذٌّ في محاولته التعريفَ بالمذهب الصوفي في جملته، باعتباره مذهب فرقةٍ من الفرق الإسلامية الأصلية. وأما ثانيهما: فهو أنه – أيضًا – فـذٌّ في محاولته حصْرَ الفِرق الفرعية لهذه الفرقة الأصلية)[1].

وهذا البحث الذي قدمه الشيخ مصطفى، ومكان إلقائه: مما يُلفت النظر إلى مكانة التصوف في الإسلام، وأن الصوفية ليسُوا على درجةٍ سواء؛ بل منهم المنضبط بضوابط الإسلام، وهم درجاتٌ، ومنهم المنحرف في بعض الجوانب، ومنهم المُغالي: الذي خالف عقيدةَ الإسـلام، كما نقل عن الفخر الرازي، وكما يُفهَم من ثنايا بحثي هذا.

(١) الشيخ مصطفى، الصوفية والفرَق، ص١٥-١٦.

المبحث الثاني

أدوار التصوف الإسلاميِّ كما يرَى الشَّيخ مصطفى عبد الرازق

المطلب الأول: نشأة التصوف الإسلامي، وأدواره.

لقد سبق القول: بأن التصوف في أول الأمر: اعتناءٌ بأمر الدين، ومراعاةٌ لأحكام الشريعة الإسلامية، ويضيف الشيخ مصطفى[(١)]:

أن أحكام الشريعة – أصولًا وفروعًا – كانت تُتلقَّى من صدور الرجال، حتى نشأت حركة تدوين العلوم، فتطلعت الأنظارُ إلى "علم الشريعة"؛ أي: الأحكامِ العمليةِ، وظن الناس أن صرْف الهِمَم تجاه الاشتغال بالعلم والعمل: هو غاية الدين، فلم يعُد معنى التصوف قاصرًا على الاعتناء بالدين ومراعاة الأحكام، بل تطوَّر معناه، فكما دُوِّن عِلم الفقه، تطلعت الأنظار إلى تدوين علمٍ بجانبه، يتناسب وكمال الدين، مراعاةً لأصل معنى لفظة "تصوُّف ومتصوِّف وصُوفي".

ثم يعقِّب: بأن الكلام المذكور يشير إلى ما بين الفقه والتصوف من صِلةٍ؛ بيان ذلك: أن عِلم الشريعة على قسمَين:

أولهما: ما يدل على الأعمال والعبادات والمعاملات، (وسُمي هذا العلم: عِلم الفقه. وهو مخصوصٌ بالفقهاء وأهل الفتيا في العبادات والمعاملات)[(٢)].

وثانيهما: ما يدل على الأعمال الباطنة – القلبية – ويدعو إليها، وهو علم التصوف، ويسمِّي الصوفيةُ (أنفسَهم: أرباب الحقائق وأهلَ الباطن، وسموا مَن عداهم: ظواهرَ وأهلَ رُسومٍ)[(٣)].

---

(١) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٢ وما بعدها. وقد فصَّل أ. د. مصطفى حلمي، هذه الأدوار، في كتابه الدقيق: الحياة الروحية..، ص٨١ وما بعدها. كذا: أ. د. التفتازاني، في: مدخل..، ص١٧ وما بعدها.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٥. ويراجع: أ. د. التفتازاني، في كتابه: مدخل..، ص٩٧.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٥، ويراجع أيضًا، ص٧٩. والطوسي، اللمع، ص٤٥٦.

وأهل الرُّســوم: قُراء وفقهاء؛ فالقرَّاء: هم أهل التعبُّد والتنسُّــك، لا تعلق لهم بأعمال القلوب ولا أرواح المعارف، بل همَّتهم منصرفةٌ إلى ظاهر العبادة فقط، فهؤلاء مع رُسوم العبادة. والفقهاء: اشتغالهم بالفتيا وعلم الشريعة، وهؤلاء مع رسوم العلم.

وما قيل في هذا البيان، توضيحٌ للدور الأول من أدوار التصوف الإسلامي، والتصوف فيه كان قاصرًا على (الأخلاق الدينية، ومعاني العبادة،... أُولى خطوات التصوف في سبيل التكون العلمي: كانت عبارةً عن نشأة علم الأخلاق الإسلامي)[١]، وقد اشتهر عندهم: أن "التصوف خُلقٌ، مَن زاد عليك في الخُلق، فقد زاد عليك في التصوف"[٢].

وكون التصــوف متدرجًا لتكوين علْمِ أخلاقٍ إســلاميٍّ، ليس أجنبيًّا عن الإســلام، بل هو ثمرة جهد المفكرين في الإسلام، في فهم معاني العبادات (وآثارها الروحية، واتصالها بالقلوب)[٣].

ثم يبدأ دورٌ آخر للتصوف في الإسلام، فلم يَعُد النظر فيه على ما سبق في الدور الأول، مما يشبع نهمة أربابه، بل تطلَّعوا إلى البحث في العقائد بالعُقول البَحتة، وعكف مراقِبون منهم على تذوُّقٍ (لمعاني العبادات وحركات القُلوب، فأخذ التصــوفُ يتســامَى إلى نظريةٍ خَاصــةٍ في المعرفة وســبيلِ الوصُول إليها)[٤].

وينقُل عن (حُجة الإســلام الغزاليِّ)[٥] ما يتعلق بهذه الســعادة: فهي ســعادةٌ تتمثَّل في معرفته –

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٦-٦٧. ويراجع: أ. د. التفتازاني، مدخل..، ص١١، ١٠٣.

(٢) وهو تعريف أبي بكر الكَتاني (ت: ٣٢٢هـ) للتصوف. يراجع: القشيري، الرسالة، ج٣ ص١٨٦.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٧.

(٤) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٨.

(٥) يراجع: الصــفحة الســابقة. وفيها يُحيل إلى إحياء علوم الدين. يراجع: الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة- بيروت، دون تاريخ، ج٣ ص١٥ وما بعدها.

تعالى- وتوحيده، ومن عرف الله -تعالى- معرفةً تليقُ بجماله وكماله، فقد أحاط بمعرفة الموجُودات؛ لأن الوجود الحق هو الله -تعالى-، والموجودات هي أفعال الله. وتتفاوَت مراتب السعداء بالنظر إلى ما يُكشف لقلوبهم، منهم من يراه الجنةَ، ومنهم من يراه سببَ استحقاق الجنة، وكلما اتسعت معرفته بربه وزاد تجلِّي الذات والصفات والأفعال الإلهية لقلب المؤمن، كلما اتَّسع نصيبه من الجنة المذكورة، أما الطاعات والقُربات: فالمراد منها تنقية القلب وتصفيته وتجليته وتزكيته.

وسبيل حصول المعرفة للمؤمن: إما الاستدلال والتعلم، ويقال له: الاعتبار والاستبصار، وهذا السبيل يختص به العلماء والحكماء.

وإما أن يحصُل بلا كسبٍ من العبد ولا استدلالٍ، (ولكنه يَهجم على القلب، كأنه أُلقيَ فيه من حيثُ لا يدري)[1].

وهذا الثاني: إما أن لا يدري كيف ولا مِن أين حصل له، أو يعلم سبب ومصدر حصوله، وهو أن يشاهد الملَك الذي أُلقي في القلب. وهو في هذا وفي ذلك، متيقنٌ أن الله هو الذي أفاض على قلبه ما أفاض، وأنه حصل في قلبه بواسطة المَلَك.

والحاصل بلا كسبٍ الذي لم يَعلم كيفية حصوله: هو المسمَّى إلهامًا ونفثًا في الرُّوع، وهو مختصٌّ بالأولياء. والثاني – المعلوم مصدره – هو الوحي، ولا يكون إلا للأنبياء.

وميل الصوفية إلى العلوم الإلهامية؛ إذ هي عندهم تمثِّل المعارفَ الحقةَ والمشاهدات اليقينيةَ، وهذا يستحيل الخطأ معها، خلافًا للعلوم التعليمية، لا يؤْثِرها الصوفية، وأمارة ذلك: أنهم لا يهتمُّون بتحصيل العلوم والاطلاع على الكتب المؤلَّفة[2]، لا ينشغلُون بالاختلافات والأقاويل، بل

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٦٩، وهو ناقلٌ عن الإحياء، لحُجة الإسلام، ج٣ ص١٨.

(٢) لعل مُراده: أنهم لا ينهَمكون في ذلك؛ إذ ظاهر العبارة: أنهم لا يُقبلون على العلم الظاهر أصلًا. وحال الصوفية – ومنهم الإمام الغزالي نفسه – يشهد بتنوُّع علومهم النقليةِ والعقليةِ، إضافةً إلى التصوف. ويراجع أيضًا: الشيخ مصطفى، الدين والوحي والإسلام، عيسى البابي الحلبي، ١٣٦٤هـ، ص٧٢-٧٣.

جلُّ اهتمامهم والموصل للمقصود عندهم: (تقديم المجاهَدة، ومحوُ الصفات المذمُومة، وقطعُ العلائق كلها، والإقبالُ بكُنه الهِمة على الله –تعالى–،... فطريق الصوفية يرجع إلى: تطهير محضٍ، وتصفيةٍ وجلاءٍ، ومحاسبةٍ للنفس، ثم استعدادٍ وانتظارٍ للتجلي)[١].

هذا حاصل ما ذكره، عن "حُجة الإسلام"، فيما يتعلق بالسعادة، مع التوضيح[٢].

ثم يشرح الشيخ مصطفى ما يتعلق بـ «الطَّريق الصوفي»، فيذكر:

أنه لن يسلك المريدُ الطريقَ، إلا إذا ترقَّى في "الأطوار النفسية" التي اصطُلح على تسميتها: بالمقامات والأحوال (المنازِل)، وقد تعدَّدت عباراتُ الصوفية في ذكر عدد هذه الأطوار وفي ترتيبها، وفي بعضها: أهو من الأحوال أم من المقامات؟ بل في الفرق بين الحال والمقام[٣]، وهو اختلافٌ يرجعُ إلى ما يُنازله كلُّ صوفيٍّ أثناء سيره في الطريق، فيصِف الأطوارَ بما وقع له في السلوك[٤].

ويشرح الشيخ مصطفى **ما يتعلق بتعريف المقام والحال:**

فالمَقام في اللغة: موضع القيام، والمُقام: موضع الإقامة، وقد يُستعمل كلٌّ منهما بمعنى الآخر. وهو عند الصوفية – بفتح الميم أو بضمها –: (ما يتحقَّق به [المُريد][٥] من الصفات المكتسَبة بالرياضة والعبادة)[٦]، ويمثِّل لذلك: بمقام الخوف منه –تعالى–: يحصُل للسالك إذا ترَك الكبائر، ويعقُب ذلك مباشرة: ترْك الصغائر، فالمكرُوهات، فالشبهات، فترْك التوسُّعِ في الحلال، ويترقَّى حتى ينقطع

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٠. وهو ناقلٌ عن الغزالي في الإحياء، ج٣ ص١٩، بتصرفٍ.

(٢) ويراجع: أ. د. محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية، ص١٣٣-١٣٥. أ. د. التفتازاني، مدخل، ص١٨١.

(٣) يقارن: الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤ ص١٦٧.

(٤) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٠-٧١. أ. د. التفتازاني، مدخل..، ص٣٨-٤٢.

(٥) في الأصل: (المزيد) – بزايٍ منقُوطةٍ. والنص منقول عن: التصوف، للشيخ مصطفى، ص٧١.

(٦) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧١.

عن كل ما يشغله عن الله. **والحالُ** عندهم: (معنًى يَرِدُ على القلب، من غير تعمُّدٍ ولا اجتلابٍ، كالطَّرب والحُزن والشَّوق والهَيبة)[١].

وإذا كان "الإمامُ القشيريُّ" يذكر أن الأحوالَ مواهبٌ والمقامات مكاسبٌ، فمختار الشيخ مصطفى: القول بأن الأحوال مواهب، لكن (المقامات مكاسب بمواهب؛ لأنها تُنال بالكسب مع الموهبة)[٢]؛ ذلك أن الأحوال توهَب للسالك، ومن خلالها يترقَّى إلى المقامات، فها هنا مواهب تعقبها مكاسب، (ولا يلُوح له حالٌ من مقام أعلى من مقامه، إلا وقد قرُب ترقِّيه إليه)[٣]، ولا يليقُ بالمريد أن يتطلَّع إلى مقامٍ فوق مقامه الذي هو فيه، إلا إذا استوفى أحكامَ مقامه المذكور، وأحوالِه.

وقد يقال: إن المقامات تُنتج الأحوال، والأعمال تُنتج المقامات، وتسمو المقامات: بسُمو أعمال صاحبها، وتسمو الأحوال وتعظُم: بسُمو مقامات صاحبها.

وبشرْحه ما يتعلق بـ (عِلم التصوف)، يتضح أن التصوف في أول الأمر، كان يمثل طريقًا للعبادة، مجالُه: المعاني الروحية والآثار القلبية للأحكام الشرعية، في مقابلة الفقه؛ الذي يهتمُّ بظواهر العبادات ورسومها، (ثم انتقل التصوف، فأصبح طريقًا للمعرفة، يقابل طريقَ أرباب النظر من المتكلمين)[٤]، مؤيدًا ذلك بتصريح "الإمام الغزالي، في الإحياء": بأن مراتب الإيمان والمعرفةِ ثلاثٌ: التقليد المحض: وهي مرتبة العوام. والممزُوج بنوع استدلالٍ: وهي مرتبة المتكلمين،

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧١. وهو ناقلٌ عن الرسالة، للقشيري، ج٢ ص٢٦-٢٨، بتصرفٍ.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧١. ويراجع: القشيري، الرسالة، ج٢ ص٢٧. والسهروردي، عوارف المعارف، ص٣٠٠ وما بعدها. الشيخ عبد الحليم محمود، أبحاث في التصوف، ص١٨٧.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧١.

(٤) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٣.

وليست بعيدةً عن مرتبة العوام. و(إيمان العارفين: وهو المشاهَد بنور اليقين)[١].

وها هُنا يقال: أصبح الصوفية في هذا الدور، خُصومًا للمتكلمين، كما كانوا في الدور السابق عليه: خصومًا للفقهاء.

إن التصوف – كما يرى الشيخ مصطفى – بعدما كان طريقًا للعبادة، أصبح عِلمًا مدوَّنًا، وتمثَّلت موضوعاتُه: فيما يوصِّل إلى العِرفان من مجاهداتٍ، وما تُثمره المُجاهدات المذكورة من أذواق ومواجد، تتبَلوَر في المقامات والأحوال، ثم لاح للصوفية مصطلحات، يعبِّرون بها عن معانيهم الخاصة، ثم شرحوا هذه الاصطلاحات، حتى كثُرت أسماء "علم التصوف"، (فسُمي: علم القلوب، وعلم الأسرار، وعِلم المعارف، وعلم الباطن، وعلم الأحوال والمقامات، وعلم السلوك، وعلم الطريقة، وعلم المكاشفة)[٢].

وواكب هذا التطور: اطلاع المسلمين على المعارف الأجنبية، وظهر بعضُ تأثيرٍ لهذا الاطلاع على "علم" التصوف، ومع ذلك لم يكن تأثيرًا جوهريًّا، حسبما يعبِّر عنه الشيخ مصطفى بقوله: (ولا نستطيع أن نقول مع "كولدتسيهر": "وكذلك يجب عند النظر في التصوف نظرًا تاريخيًّا، تقديرُ النصيب الهندي الذي ساهم في تكون هذه الطريقة الدينية المتولدة من المذهب الأفلاطوني الجديد)[٣]، فهذا التجني على التصوف الإسلامي، يرفضه الشيخ مصطفى.

لكن هذا التأثر وما سبقه من ممهِّداتٍ، كان فاتحةً لانتقال التصوف إلى **دورٍجديدٍ**؛ ذلك أن انتقال التصوف إلى أن يكون "عِلمًا نظريًّا" و"طريقًا للمعرفة"، دفع بعضَ المتأخرين إلى الخوض

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣ ص١٥. ونقله الشيخ مصطفى، في: التصوف، ص٧٣. ويراجع: أ. د. محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية، ص١٣١-١٣٢.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٤.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧١. والمضمُون نفسه ذكره: أ. د. التفتازاني، مدخل...، ص١٩.

فيما وراء الحس من مدارك ومعارف، وكشف حجاب الحس: (هو نهاية مراتب الصوفية)[١]، ولن يُقفز إلى كشف حجاب الحس، دون المرور بمُمهِّدات لذلك، لذا اختلفوا في طُرق المجاهدات والرياضات، وتنوَّعت طرق (إماتة القوَى الحسية، وتغذية الروح العاقل بالعبادات والذكر)[٢]، ولم يعُد كلامُهم قاصرًا على ذلك، بل امتدَّ فكرُهم إلى الموجودات كافةً، عُلويها وسفليها، بألفاظ وطرق، لا يفهمها من كان أجنبيًّا عنهُم.

ثم صرَّحوا: باطلاع أرباب المجاهدة على بعض الأمور قبل وقوعها، وأنهم بهِمَمهم العالية ونفوسهم القوية، يتصرفون في الموجودات السُّفلية، (وتصير طوعَ إرادتهم، وتوغَّلوا في ذلك كله، متأثرين بمذاهب الإسماعيلية[٣]، واختلط كلامُهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقُطب، ومعناه: رأسُ العارفين، وهو بعَينه ما تقوله الرافضة[٤])[٥]، ومن مظاهر الإفراط

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٥.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٥.

(٣) الإسماعيلية: هي الذين (يقولون: إن الإمام بعد جعفر الصادق: إسماعيلُ بنُ جعفر. ولكن لمَّا مات إسماعيل في حياة أخيه: عادت الإمامة إلى أخيه). الإمام الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، سابق. وللإمام الشهرستاني: أن دعواتهم تتجدد مع كل زمانٍ وكل لسانٍ، ومن أشهر ألقابهم: الباطنية؛ لقولهم: إن لكل ظاهرٍ باطنًا ولكل تنزيل تأويلًا. يراجع: الشهرستاني، الملل والنحل، خرَّجه: محمد بن فتح الله بدران، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤م، ص٤٢٦.

(٤) هذا مما نقله الشيخ مصطفى عن ابن خلدون، في المقدمة، ج٣ ص٩٩٧. وكذا: أ. د. محمد مصطفى حلمي، في: الحياة الروحية، ص١٣٧-١٤١. و أ. د. التفتازاني، في: مدخل...، ص١٨٩. والقول بتأثر الصُّوفية بالإسماعيلية في القول بوجود القُطب: لَم يسلِّمه محققُون. يراجع: د. محمد مصطفى، الرمزية عند ابن عربي، ج٢ ص٢٧٧-٢٨٠.

(٥) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٦. والرَّافضة: من الشيعة: يرَون أن الخلافة لا تكون إلا في أولاد سيدنا عليٍّ مِن بعده، ورفضُوا خلافة: أبي بكر وعمر وعثمان ڤ، ويقدِّسون الأئمةَ وينزِّهونهم، وقالوا بانتقال الملك بين أبنائهم عن طريق الوراثة الدينية. يراجع: الشيخ الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١ ص٨٨-٨٩.

عندهم في تأثرهم بالشيعة: محاولتهم جعل لُبس الخِرقة أصلًا للطريق الصوفي، رفعُوه إلى سيدنا عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، معقبًا بقول "ابن خلدون": (ولم يختص علِيٌّ مِن بين الصحابة بطريقةٍ في لباسٍ ولا حالٍ)[١].

ويلخِّص الشيخ مصطفى هذا التطور الجديدَ الذي طرأ على موضوع علم التصوف، موضحًا أن كُتب الصوفية تتناول أبحاثًا أربعةً، هي: المجاهدات وثمراتها من الأذواق والمواجد، والكشف والمدرَكات الغيبية [على طريقةٍ تشبه التفلسُف العقليَّ البحت]، والتصرف في الموجودات عن طريق الكرامات، والألفاظ الموهمة في الظاهر «الشطحات»، جمع شطح: وهو (عبارةٌ مستغرَبةٌ في وصْف وجدٍ أفاضَ بقُوَّته وهاج لشدة غلَيانه وغلَبته، فهي حركةُ أسرار الواجدين إذا قويَ وجدُهم، فعبَّروا عن وجدهم بعباراتٍ يَسْتغربها سامعُها)[٢]، ثم ساق الشيخ مصطفى أمثلة لذلك من كلام "ابن عربي الحاتِمي" وغيرِه.

ويميز الشيخ مصطفى بين الصوفية الحقَّة، والغُلاة: بأن غُلاة متأخِّريهم خلطُوا التصوفَ بمخالفاتٍ، مثل: الحلول والاتحاد[٣] ووحدة الوجود[٤]، ليضع ضابطًا يميز الغلاة من غيرهم: بأن مَن سلك التصوف – الذي هو رياضةٌ ومجاهدةٌ – بقصْد معرفة المبدأ والمعاد: (إن وافقوا في

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٦. ويراجع: ابن خلدون، المقدمة، ج٣ ص٩٩٨.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٧. وهو ناقلٌ عن: اللمع، للطوسي، ص٤٥٣.

(٣) "الحُلول" في الشيء: كونُ الحالِّ تبعًا لذلك المحل في أمرٍ من الأمور. والمقصود بـ "الاتِّحاد" هُنا: صيرُورة الشيئَين شيئًا واحدًا. يراجع: ابن التلمساني، شرح معالم أصول الدين، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ص٢٦٠.

(٤) وحدة الوجود: تعني: القولَ بـ (أنه –تعالى– الوجود المطلق، وأن غيره لا يتصف بالوجود أصلًا). الأمير، حاشية على الجوهرة، نشر: الحلبي، ص٥٩. ونلاحظ: تفرقة الشيخ عبد الحليم محمود، بين: وحدة الوجود، ووحدة الموجود، في كتابه: أبحاث، ص٢٩٥-٣٠٤. ويقارن: أ. د. التفتازاني، مدخل، ص١١٧-١٣٢، ٢٠٠.

رياضتهم أحكامَ الشرع: فهم الصوفية، وإلا: فهم الحكماء الإشراقيون)[١]، وحكمة الإشراق – الذوقية – بالنسبة للفلسفة، كالتصوف للعلوم الإسلامية، ويمكن القول: بأن التصوف قد اقترب من الفلسفة في هذا الدور.

والشيخ مصطفى، يلفت الانتباه إلى هذا الطور، فيشير إلى تأثر التصوف بالفلسفة[٢]، ويمثل لذلك: ببعض أوجُه التشابه بين نظرية الفلاسفة وقول الصوفية في "الوحي"، غير أنه لم يكن تطابقًا تامًّا؛ ذلك أن الفلاسفة يؤوِّلون نصوص الشرع بما يتوافق مع أهواءهم، ويرى: أن الصوفية وإن أوَّلوا النصوص: لكن مقصودهم من التأويل: شرح المبهَم، والتوفيق بين ما يوهم التضارب بين الظواهر، (مضطرين إلى الركون إلى منازع الفلسفة، وإلى ما يسمونه ذوقًا تقصُر عنه العبارة ويدركه العارفون، فهم أقلُّ إمعانًا في التأويل، وهم أقلُّ وضوحًا). فكلامه هنا: هن دورٍ من أدوار التصوف، لا عن أدواره كلها، ورغم تأثر الصوفية ببعض منازع الفلسفة: لكن مقصودهم هو التحقق بالشرع[٣].

وحاصل ما سبق عن أدوار التصوف:

أن التصوف كان يمثِّل الكمالَ الديني ويعبِّر عن المَثل الديني الأعلى، في كل أدواره، تعبيرًا مختلفًا عما عليه العامةُ، وقد حدثت عداواتٌ بين التصوف والعلوم الظاهرة في بعض أدواره، (من غير أن تُخرجه العداوات والاضطهادات عن حدود الحُب والتسامُح. فالتصوف كان وَحده مِن بين

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٧٩. ويراجع: أ. د. التفتازاني، مدخل، ص١٩٢.

(٢) يراجع: الشيخ مصطفى، محمد عبده، ص٤٨، ٦٤. وأيضًا: الدين والوحي والإسلام، ص٧٥-٧٧.

(٣) الدين والوحي والإسلام، ص٧٥-٧٧. ويقارن: الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق: محمود أبو رية، دار المعارف، ط٤، دون تاريخ، ص١٢٣.

معترك المذاهب تسامُحًا صرفًا وسلامًا، في كل ما مر به من الأدوار)[١]، والكمال والمَثل الديني الأعلى المذكور لدى التصوف، كان متمثلًا في:-

١- العبادة والمجاهدة، في أول الأمر.

٢- ولما دُوِّن الفقه وتنافَس الناس على تحصيله والعمل به.. أصبح الكمال الديني كما يمثله التصوف: هو الاهتمام بتصفية القلب وتأثره بالعبادة وتحسين الأخلاق.

٣- ولما نشأ طريق تحصيل الإيمان عن طريق النظر، تطلَّع الناسُ إلى تحصيل المعرفة على طريقة المتكلمين، تَمثل الكمال الديني عند الصوفية: في تحقيق الإيمان والمعرفة عن طريق المكاشفة[٢] والتصفية، وتوضيح الطريق والحث على سلوكه.

٤- ولما فشَت الخلافياتُ الفلسفيةُ والكلاميةُ، فيما يتعلق بالإلهيات وخلْق الكون والأُخرويات: بحث الصوفية في الموضوعات نفسها، استنادًا إلى الذَّوق، ويرَونَ ثمراته المعرفية: هي حق اليقين[٣]؛ لا يُشك فيه ولا يُنقض، ولا يدركه إلا ذوي العرفان، مستشهدًا بسؤالٍ وُجه لصوفي، قيل له: (ما معنى قولهم صوفيٌّ؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن الصوفيَّ: مَن كان فقيرًا مجردًا من الأسباب، وكان مع الله بلا مكانٍ، ولا يمنعه الحقُّ – سبحانه – عن عِلم كلِّ مكان)[٤].

٥- ثم آل أمرُ التصوف إلى دور الانحطاط الذي نشهده، والذي يرى الشيخ مصطفى إهمال الكلام

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٢، ويراجع أيضًا، ص٧٩-٨١.

(٢) المكاشفة: حُضور القلب بنَعت البيان التام بالبرهان، دون حاجةٍ إلى تأمُّل الدليل. يراجع: القشيري، الرسالة، ج٢ ص٨٠.

(٣) حق اليقين: هو الذي يَغلب ذِكرُه على القلب، حتى يشتغل به صاحبُه عن ذِكر غيره، وهو مقصود الإمام القشيري بقوله: هو (ما كان بنعت العِيان)، وأنه خاصٌّ بـ (أصحاب المعارف). الرسالة، ج٢ ص١٠٠.

(٤) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨١. ويراجع: القشيري، الرسالة، ج٤ ص١٠-١١.

عنه عمدًا؛ لِما أنه اتخذ من (الإخلاص والزهد والعرفان والخير- أداةَ غشٍّ، ومطامع وجهلٍ وفسادٍ)[1]! فهذا لا يقال له تصوفٌ، وليس من التصوف في شيءٍ.

ونقول: رغم هذا الانحطاط، لم يَعدم التصوف - في كل حينٍ - أنصارًا مُخلصين، منضبطين بضوابط القرآن الكريم والسُّنة النبوية وبما كان عليه السلف الصالح، يمثلون التصوفَ الحق، وينبهون على الدخيل في التصوف، ومن أبرز مظاهر ذلك: شيوخ الأزهر الشريف – بلا استثناء –، وأعلام الأزهر كذلك، وقد ذكرتُ الأستاذَ الشيخ مصطفى فارسًا من هؤلاء، وأُلْفِتُ النظر إلى: ما سطَّره أمثال الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، وما تحوِيه مقررات الأزهر الشريف، والرسائل العلمية الأكاديمية بالأزهر، مما يتعلق بالتصوف الإسلامي، إلى آخره، فهذه شواهد حقٍّ لعدم أُفول نجم التصوف الإسلامي كليةً، رغم كثرة الأدعياء.

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٣.

المطلب الثاني: من مظاهر الانحِراف لدى متأخِّري الصوفية - الفهم الخَاطئ لكرامات الأولياء.

انعطافًا على ما سبق في الكلام على أدوار التصوف، يذكر الشيخ مصطفى: أن كثيرًا من الفقهاء، انتدب للرد على ما حاق من انحرافٍ لدى متأخري الصوفية، وأن أكثر الموضوعات محل النقد – من وجهة نظره – (هو: موضوع كرامات الأولياء) [١]؛ لذا خصه الشيخ مصطفي بالتوضيح: فبدأ بالكلام على المقصود بالولاية، ثم الآراء في الكرامات:

أولاً: مادة (ولي):

يذكر الشيخ مصطفى: أن لها أصلًا في القرآن الكريم، كقوله –تعالى–: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس].

ثم إنها في اللغة: تدلُّ على معنى القُرب؛ فوليُّ الله: هو القريب من حضرته –تعالى–، بالاتصاف بصفات الإيمان والتقوى، والالتزام بالعبادات والطاعات، متى تحقق ذلك: تحقق قُرب ربه منه، برحمته وإحسانه وفضله، فتحصل الولاية بهذا القرب، ولا يُتصور القرب الحسيُّ؛ إذ (القُرب من الله بالمكان والجهة: محال)[٢]، وهذا ردٌّ قاطع على من يجوِّز سمات الحوادث على الله –تعالى–.

هذا أصل معنى الولاية: القُرب، غير أن تطوُّر التصوف – وفقًا للأدوار السابق ذكرها–، أدَّى إلى تطور معنى الولي: فعنَى به المتكلمون: مَن أتى بالاعتقاد الصحيح، المستند إلى الأدلة، وأتى – مع الاعتقاد الصحيح – بالأعمال الصالحة المتوافقة مع الشريعة الإسلامية، كما يشير إليه قوله – تعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس]. وعلة قولهم بذلك: أن الإيمان قولٌ وعملٌ – على تفصيلٍ بُين في محله –، والتقوى: أن يتقيَ العبدُ كل ما نهى الله عنه.

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٢.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٤.

(أما الصوفية: فيقولون – كما في الرسالة القشيرية –: إن الولي له معنيان: أحدهما)[١]: مَن تولَّى الله حفظَه وحراستَه ورعايتَه على التوالي، ويوفِّقه إلى الطاعات دائمًا. وثانيهما: مَن توالت طاعاته لربه، استقصاءً واستيفاءً، فتوالَى فضلُ ربه عليه، وحينئذٍ يُحفظ في مقام الولاية، فلا يخاف ولا يحزن من شيءٍ.

(فالوليُّ عندهم: هو الواصلُ إلى مَرتبة العرفان، عن الطريق الموصلة إلى تلك المرتبة – في رأيهم –، وهو العارف أيضًا)[٢]، ومتى تحقَّق هذا الوصل.. كُشف له ما لا يُكشف لغيره، وظهرت على يديه خوارق العادات – كما نَقل الشيخ مصطفى –.

ثانيًا: جواز ظهور الكرامات ووقوعها:

لم يذكُر الشيخ مصطفى تعريفًا مباشرًا للكرامة، مكتفيًا بقوله: (هي أمرٌ خارقٌ للعادة)[٣]، ليتطرَّق إلى الآراء في ظُهورها ووُقوعها، مع التفرِقة بينها وبين المعجزات، فحكى ستةَ آراء[٤]:

الرأي الأول: تَجويز الأشعرية أن يخصَّ الله –تعالى– الصالحين بقْلب الأعيان لهم واختراعهم الأجسامَ وتحويل الطبائع، وما كان معجزةً للأنبياء، فهذا معنى الكرامة. ويفرَّق بينها وبين المعجزة: بوقوع التحدي ودعوى النبوة من النبي، وعدم وقوع ذلك من الولي.

الرأي الثاني: رأي الصوفية: حيث حَكَى قولَ أكثرهم: إن الكرامات جائزةٌ بل واقعةٌ، على سبيل نقض العادة، وعدم دعوى النبوة. ووقوعها: تقويةٌ ليقين الولي، وإعانةٌ له على الطاعة، وتحقيق استقامته، ودليل

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٥. ويراجع: القشيري، الرسالة، ج٤ ص١٥٤-١٥٥.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٦. ويراجع: ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص٣٢٣. والشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، ص١١٥.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٦.

(٤) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٨٦-١٠٢.

على صدق تحققه بالولاية، خاصة إذا ادعى الولايةَ لحاجة، ولم تكن مخالِفةً للشريعة[١].

ويفرِّق الصوفية بين المعجزة والكرامة – كما يذكر الشيخ مصطفى –: من ثلاثة وُجوهٍ:

أولها: أن النبي مأمورٌ بإظهار المعجزة، بينما يتعبد الوليُّ بكتمان الكرامة، ولا يُظهرها إلا لحاجةٍ، كغرَضٍ دينيٍّ أو سببٍ مشروعٍ.

ثانيها: وقوع احتجاج الأنبياء على المشركين من أقوامهم بالمعجزات؛ بسبب قسوة قلوبهم. بينما يحتجُّ الولي بالكرامة على نفسه؛ حتى تطمئن، فلا يقع منها اضطرابٌ ولا جزعٌ عند فوت رزقٍ مثلًا، ومن سُبل تحقيق الطمأنينة: أن يرى بعينَيه.

وثالثها: كلما زادت المعجزات للأنبياء: كلما كان أتمَّ لفضلهم. وكلما زادت الكرامات للأولياء: كلما زاد وجَلهم؛ إذ لا يأمنُ الوليُّ أن يكون الخارق كرامةً، بل يخشى أن يكون استدراجًا، وما وقع: إلا لسُقوط منزلته عند الله! والاستدراج: خارقٌ يظهر على الكاذب؛ شاهدًا بكذبه.

الرأي الثالث: بعضُ المتكلمين والصوفية: وحَكى عنهم: جواز الكرامات، إلا ما كان من جنس معجزات الأنبياء؛ كإحياء الموتى وتسبيح الحصى ونحو ذلك، فلا يقع كرامةً.

الرأي الرابع: بعض المعتزلة وبعض الأشعرية أيضًا: ورأيهم: منْع جواز ووقوع الكرامات أصلًا.

الرأي الخامس: رأْيُ طائفةٍ: وهو منْع جواز الخارق أصلًا، من المعجزات والكرامات معًا[٢]! واستدل هؤلاء – كما حَكى الشيخ مصطفى –: بأن تجويز خرْق العادة يؤدِّي إلى السفسطة؛ إذ يجوز على القول بخرقها: أن تظهر المعجزة على يد من ليس بنبيٍّ، وأن يأتي بالأحكام الشرعية مماثلٌ لمن ثبتت نبوته بالمعجزة، لا عينه، وهو إخلالٌ بالقواعد المتعلقة بالنبوة. كذا لو جاز الخارق، لجاز أن يتولَّد العجوز فجأةً دون أبٍ أو أمٍّ، وأن ينقلب الجبل ذهبًا، وهذا كلُّه خبطٌ

(١) يراجع: الطوسي، اللمع، ص٣٩٦-٣٩٩. والقشيري، الرسالة، ج٤ ص١٤٧.

(٢) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص١٠٢.

ومفاسد لا تتناسَب ونظام المعاش والمعاد،... إلى آخره.

وعقَّب: بأن رأيَ هؤلاء مخالفٌ لرأي المتكلمين والصوفيةٍ معًا، واستدلالاتهم منقُوضةٌ من قِبل المتكلمين والصوفية، بل إن هؤلاء – المنكرين – لا يُثبتون النبوة أصلًا وإن لم يصرِّحوا بذلك، (فهم خارجون عن الدين،... وليس بممتنعٍ أن ينكروا الخوارق من غير أن ينكروا النبوة)[١].

ومَن جوَّز الكرامات: استند: إلى أنها مما لا يلزم مِن فرْض وقوعه محالٌ؛ فلا يترتب على تجوِيزها: انتفاءُ أصلٍ واجبٍ. ثم إنها مقدورةٌ له –تعالى–، فلا شيء يمنع من حصولها. ثم إن القول بثبوت الفاعل المختار، مما يشهد لجواز انخراق العادة، هذا عند المتكلمين[٢].

وليست من المحالات عند الحكماء؛ (لأنهم يقولون: بأن للنفوس الزكية قوًى، ربما تؤثر في أكثر الأجسام التي في عالَم الكون والفساد)[٣].

هذا عن جواز الكرامات للأولياء، **أما وقوعها**: فاستدل عليه المجوِّزُون:

بقصة أصحاب الكهف. وبما ثبت في الصحيحَين: مِن تكلُّم ثلاثةٍ[٤] في المهد: عيسى بن مريم – عليهما السلام –، وصبيٌّ في زمن جريج العابد، وصبيٌّ آخر[٥].

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ١٠٢-١٠٣. وإنكارهم النبوات: صرح به ابن التلمساني، ص٥٧٦.

(٢) يراجع: التفتازاني، شرح العقائد النسفية، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٤٥هـ، ص٥٨٧-٥٨٩.

(٣) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٩٠. ويراجع: ابن سينا، النجاة، نشر: محيي الدين الكردي- مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٥٧م، ص٢٦٤-٣٠٠.

(٤) قيل: إنهم سبعة. يراجع: الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٦ ص٤٨٠.

(٥) متفقٌ عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء- باب: قول الله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾[مريم: ١٦]، ج٦ ص٥٣١، الحديث رقم =

كذا خبر الثلاثة الذين آواهم الغار، فتوجَّهوا إلى الله -تعالى-، ودعا كلٌّ منهم بصالح عمله، فانفرجت عنهم الصخرة، ونجوا، وهو (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، متفقٌ عليه)[١].

ثم إنها وقعت في عهد الصحابة ڤ؛ كتكليم سيدنا عمر بن الخطاب وهو بالمدينة، سارية بن الحصين وهو بنهاوند، وسماع سارية لكلامه[٢]. ووقعت الكرامات في عهد التابعين ڤ، ونقَل الشيخ مصطفى أطرافًا من ذلك، عن اللمع للطوسي[٣].

الرأي السادس: رأي «ابن حزمٍ»: وهو: منع قلب الأعيان أو تحويل الأجساد، إلا مِن الله -تعالى- للأنبياء فقط، لا يقع من غير الأنبياء مطلقًا، ونقل قول ابن حزم: (وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره، برهان ذلك: قول الله -عز وجل-: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥])[٤]، ثم نقل احتجاج ابن حزم – على طوله -، بما حاصله:

أن القوانين التي وضعها الله في الكون، لا تتبدل قطعًا إلا إذا قام برهانٌ على تبدلها؛ كتحول البذرة إلى شجرةٍ، وهذا شيءٌ معهودٌ، بنَى الله العالَم عليه وعلى ما يشبهه؛ كتحويل المنيِّ إلى إنسانٍ. وهناك الغير المعهود، لَم يَبن الله العالم عليه، لكنه وقعت بقدرته -تعالى- شاهدةً لصحة

٣٤٣٦. ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب- باب: تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، ج٤ ص١٩٧٦، الحديث رقم٢٥٥٠.

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٩٤. والخبر المذكور: متفقٌ عليه، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة- باب: مَن استأجر أجيرًا فترك الأجيرُ أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل، ج٣ ص٩١، برقم٢٢٧٢. والإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الرقاق- باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ج٤ ص٢١٠٠، برقم ٢٧٤٣.

(٢) يراجع: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، نشر: دار هجر، ١٤١٣هـ، ج٢ ص٣٢٣.

(٣) يراجع: الشيخ مصطفى، التصوف، ص٩٥. والطوسي، اللمع، ص٤٠٠-٤٠٨.

(٤) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٩٦. ويراجع: ابن حزم، الفصل...، ج٥ ص٢-٩.

نبيٍّ وأنبياء، وقد نُقل من ذلك بالتواتُر الموجب للعلم الضروري، فوجب الإيمان به ومنع وقوعه لغير الأنبياء مطلقًا؛ (لا من ساحرٍ ولا من صالحٍ، بوجهٍ من الوجوه؛ لأنه لم يَقُم برهانٌ بوجود ذلك، ولا صحّ به نقلٌ، وهو ممتنعٌ في العقل)[1]، والقول بوقوع ذلك – كما يرى ابن حزم – يتساوَى مع قول الرافضة في سيدنا عليٍّ وقولِ أهل الكتاب في أحبارهم ورهبانهم؛ إذ خرْق العادة لمن ليس بنبيٍّ: كذبٌ، إلا إذا وقع في عهد نبيٍّ: فإنه يكون معجزةً له، والقول بوقوعه بعد نبيٍّ: مشكِلٌ.

كذا القائل بجواز قلب أعيان: يجوِّزه للساحر الفاسق، وللولي الصالح، وفي هذا تسوية للصالح بالفاسق، وبؤسًا لما يؤدي إلى ذلك.

أما ما نُقل في ذلك: فيرده ابن حزم، ومنه: انفراج الصخرة عن الغار: بأن تكسير الصخرة ممكنٌ في حد ذاته، يقع بلا إعجاز، ووقع لهؤلاء: اتفاقًا؛ كمن يدعو الله أن يفرج همَّه، فيفرَّج. ولو قيل إنها معجزة: فهم أنبياء، أو أولياء في زمن نبيٍّ – كما سبق –.

ثم يعقب الشيخ مصطفى على رأي ابن حزم بقوله: (وظاهر ما في احتجاج ابن حزمٍ من قوةٍ، ولئن لم يعرض لتأويل كل ما رُوي في الأخبار من الكرامات المشكِل تأويلها)[2]؛ كما رُوي في الصحاح من التكلم في المهد من الصبيان: لعل ابن حزم يعدُّها من أخبار الآحاد التي لا تُبنَى عليها العقائد[3]، (ولولا أن ابن حزم من الظاهرية الذين يتبعون النصوصَ بلا تأويل: لقُلنا إنه قد يجعلها من باب التمثيل)[4].

ثم إن إنكار الكرامات قد يوهِم إنكار الدعاء، وهو إشكالٌ، حلَّه ابن حزم: بأن قوله تعالى

---

(١) الشيخ مصطفى، التصوف، ص٩٦. وهو ناقلٌ عن ابن حزم، في الفصل، ج٥ ص٣؛ ليعقِّب عليه.

(٢) الشيخ مصطفى، التصوف، ص١٠٠.

(٣) يراجع في ذلك: التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص١٩٩.

(٤) الشيخ مصطفى عبد الرازق، التصوف، ص١٠٠.

﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة: ١٨٦]: لا يُقصد به الاستجابة لعموم الدعاء، بل لمخصوصٍ منه، أي: تكون بتحقيق الممكنات فقط، دون المُحالات، فمن دعا بمحالٍ: كأن يدعو نسخ الإسلام أو إدخال الكافر الجنة والمؤمن النار: فقد دعا بما يترتب عليه الكفر، وإلا كان غير عاقلٍ، أو ترَك الاستدلال بالآية المذكورة ونحوِها.(1)

هذا رأْي ابن حزم، كما ساقه في "الفِصل"، ونقله عنه الشيخ مصطفى، مع اختصارٍ وتصرف، ثم بعض تعقيبٍ عليه.

تعقيب:

وللتعقيب على ما ذكره الشيخ مصطفى عن كرامات الأولياء، أقول: لعل سرَّ اهتمام الشيخ مصطفى بمسألة كرامات الأولياء خاصة: هو مبالغة كثيرٍ من الناس في الإكثار من نِسبتها إلى الصوفية، وإن لم يكن المنسوبُ كرامةً بالمعنى الاصطلاحي، وهذه المبالغة دفعت بعضَ أهل السنة إلى القول: بأن الكرامة لا تعدُو أن تكون إجابةً لدعاءٍ أو شربةَ ماءٍ في مفازةٍ، ونحوَ ذلك. ودفعت البعض الآخر إلى القول: بعدم انتهاءها إلى حصول إنسان بلا أبٍ أو قلب جمادٍ حيوانًا ونحو ذلك. وبعضٌ ثالثٌ: يقول بغزارة وقوعِها لبعض الصوفية، (فإذا تحدَّث الناس بكراماتٍ لبعض الشيوخ لم يقع مثلها من أولئك – أي: الصحابةِ والتابعين – الذين هم خير القرون: لم يقبلها لمجرد تناقُل بعض الألسنة لها)(٢).

والمعنى نفسه: ألمح إليه الشيخ محمد عبده، في ثنايا حديثه عن الأولياء، وقد تحقَّقت

---

(1) يراجع: ابن حزم، الفصل، ج٥ ص٨.

(٢) الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين، الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٨هـ، ج٣ ص٥٥. ونَسب القولَ بأنها تكون إجابةً لدُعاءٍ ونحوَ ذلك: للإسفراييني، والقول بأنها لا تكون بقلْب الأعيان: للقشيري.

ولايتهم: لانضباطهم بضوابط الشريعة الإسلامية، فأصبحت (لهم مُشارفةٌ في بعض أحوالهم على شيءٍ من عالم الغيب، ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكَر عليهم،... ومن ذاق عَرف، ومن حُرم انحرف)[١]، وسلامة أحوالهم مما يخالف الشرع ونقاء فِطَرهم مما تنكره العقول الصحيحة وتمجُّه الأذواق السليمة: شاهِدُ صِدقٍ ودليلُ حقٍّ على صحة أحوالهم وأقوالهم.

ويذكر الشيخ عبده: أن هؤلاء – الصالحين – سرعان ما يتشبه بهم من ليس منهم، وأحوال هؤلاء المتشبهين المتعارضة مع الشرع والعقل والذوق السليم: مما يسارع في كشف حالهم، ويعجِّل بسوء مآلهم ومآل المتشبهين بهم.

أما الآراء التي ذكرها الشيخ مصطفى:

فالرأي الأول الذي نسَبه إلى أكثر الأشعرية: هو ما نصَّ عليه أهل السنة في كتبهم[٢].

كذا ما ذكره في الرأي الثاني عن الصوفية[٣]، غير أنه حصَر الكرامات في الحسية فقط، مع أن محققيهم يؤكدون على أن الكرامات: حسيةٌ، ومعنويةٌ، وأن المعنوية: هي المعتبَرة عندهم، والمقصود بها: الاستقامة[٤].

وما ذكره في الرأي الثالث عن بعض المتكلمين والصوفية: فقد قيل: قيل: إن أبا حامد الإسفراييني (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبا عبد الله الحليمي (ت: ٤٠٣ هـ) – من أهل السنة – يُنكران أصلَ الكرامة، والتحقيق: خلاف ذلك، فهما يُثبتان أصلها، لكنهما ينكران كونَها من جنس معجزات

(١) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد، ص١١٥.

(٢) يراجع مثلًا: التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص٥٨٣.

(٣) يراجع: الطوسي، اللمع، ص٣٩٣-٤٠٠. والقشيري، الرسالة، ج٤ ص١٤٧.

(٤) يراجع: ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص٣٧، ٦١.

الأنبياء. واعتُرض على ذلك: بأنه ضعيفٌ، وإنكارٌ للحس(١).

وما عزاه في الرأي الرابع إلى بعض الأشعرية: لعله يقصد به: الإسفراييني والحليميَّ، وقد سبق ما فيه، وما عزَاه إلى المعتزلة: هو ما ذكروه في كُتبهم، فقد قالوا عن خوارق العادات: (فصل: في الكلام على مَن جوَّز ظهورَها على الصالحين: قد بينَّا من قبل، ما يدل على فساد قولهم...)(٢).

والرأي الخامس: لمنكري الخوارق والنبوات أصلًا: وقد نصَّ محققو أهلُ السنة على ما في كلام هؤلاء من زيفٍ وتمويهٍ(٣).

أما رأي ابن حزمٍ: فمردُودٌ بما ذكَره المثبتون لأصل الكرامات، المستدلُّون لوقوعها بالفعل، بأدلة النقل الصحيح والعقل.

(١) يراجع: التاج السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، سابق، ج٢ ص٣١٤-٣١٦. القشيري والشيخ زكريا الأنصاري، الرسالة وإحكام الدلالة، ج٤ ص١٤٨.

(٢) القاضي عبد الجبار، المغني: النبوات والمعجزات، ج١٥ ص٢٤١، ويراجع، ص٢٢٤. وحقق أحد الباحثين: أن منهم من قال بمثْل ما نُسب للإسفراييني. ومنهم من قال بجوازها عقلًا وسمعًا. يراجع في ذلك: د. محمد عيسى الكساسبة، موقف متأخري المعتزلة من المعجزات والكرامات بين النفي والإثبات، بحث منشور ضمن مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص٣٤٢ وما بعدها. وعبارة الإمام النسفي: (قالت المعتزلة والظاهرية والرافضة والجهمية: كرامات الأولياء باطلةٌ، أما معجزات الأنبياء: فثابتةٌ صحيحةٌ). بحر الكلام، مع: غاية المرام شرح بحر الكلام، تحقيق: د. عبد الله إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ص٦١٥.

(٣) يراجع: ابن التلمساني، شرح معالم أصول الدين، سابق، ص٥٧٦-٥٨٧.

خاتمة البحث، وأهم التوصيات

وبعد: فإن الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق، مِن أعلام الأزهر الشريف، ومِن حاملي راية التجديد – المنضبط – في العلوم، وله مدرسةٌ – عقليةٌ نقديةٌ – أفادت، ولا يزال معين فوائدها جاريًا، ينهل منه المشتغلون بالعلوم العقلية بصفةٍ خاصةٍ.

أما موقفه النقدي من التصوف – كما عرضتُ جوانبَه –: فنحن في أمسِّ الحاجة إلى الاستفادة منه؛ لتمييز الخبيث من الطيب، وما يتوافق مع الإسلام وما لا يتوافق معه.

والبحث يُبرز طرفًا وأنمُوذجًا من جهاد مشايخ الأزهر الشريف بأقلامهم وعلمهم خاصةً، وغيرتهم على الإسلام، ودفاعهم عنه، وتنقيته من بعض الشوائب التي يحاول البعض إلصاقها به.

لذا أُوصي بما يأتي:

- الاهتمام بتراث مشايخ الأزهر الشريف، خاصة ما لم يُطبع منه، أو ما مضى على طباعته أمدٌ طويلٌ؛ فقد عالجُوا إشكالاتٍ في كافة الجوانب العلمية والحياتية، نحن في أمسِّ الحاجة إلى الاستفادة منها.
- توظيف الجانب النقدي كما قدَّمه أعلام الأزهر الشريف خاصة شيوخه، لخدمة الواقع العلمي والنهوض بالحياة المُعاشة بصفة عامة.
- ألا ينسحب الحكم على التصوف والصوفية جملةً وتفصيلًا، دون تَمييزٍ بين التصوُّف المنضبط بضوابط الشريعة الإسلامية، والدَّخيل عليهَا.

أهم مصادر البحث ومراجعه

أولاً : مؤلفات الشيخ مصطفى عبد الرازق.

- التصوف، تعليق على مادة (تصوف)، في دائرة المعارف الإسلامية، وطُبع مع ما كتبه ماسنيون بعنوان: التصوف، نشر: دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، ط١، ١٩٨٤م.

- تقدمة لكتاب: ابن الفارض والحُب الإلهي، تأليف: أ. د. محمد مصطفى حلمي، دار المعارف، ط٢، دون تاريخ.

- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

- حياة العالَم الروحية بعد الحرب، مقال، منشور ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٩م.

- الدين والوحي والإسلام، عيسى البابي الحلبي، ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م.

- كلمة في احتفال الجامعة المصرية بذكرَى الإمام محمد عبده، ضمن الأعمال الكاملة، ج٢.

- الصوفية والفِرَق، بحثٌ، نشره: أ. د. علي سامي النشار، في مقدمة تحقيقه لكتاب: اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٢هـ.

- المذكرات القديمة، منشورة ضمن الأعمال الكاملة، ج٢.

- محمد عبده، تقديم: أ. محمد عثمان نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.

ثانيًا : مؤلفاتٌ أخرى.

- **أمين،** (أ. د. عثمان): مصطفى عبد الرازق الإنسان والفيلسوف، بحث ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا وأديبًا ومصلحًا، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م.

- **التفتازاني،** (سعد الدين، مسعود بن عمر، ت: ٧٩٢هـ): شرح العقائد النسفية، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م.

- **التفتازاني**، (أ. د. أبو الوفا الغنيمي):

مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، ط٣، ١٩٧٩م.

مدرسة مصطفى عبد الرازق، منشور ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى...

- **ابن حزم**، (أبو محمد، عليّ بن أحمد، ت: ٤٥٦هـ): الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل، مكتبة الخانجي.

- **حلمي**، (أ. د. محمد مصطفى):

الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، ط٢، دون تاريخ.

- **ابن خلدون**، (عبد الرحمن بن محمد، ت: ٨٠٨هـ): المقدمة، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

- **زقزوق**، (أ. د. محمود حمدي): من أعلام الفكر الإسلامي الحديث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- **السبكي**، (تاج الدين، عبد الوهاب بن تقي الدين، ت: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ

- **ابن عجيبة**، (أبو العباس، أحمد بن محمد، ت: ١٢٢٤هـ): الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، نشر: عالم الفكر، دون تاريخ.

- **عبد الرازق**، (أ. علي): مصطفى عبد الرازق نبذة عن تاريخ حياته، ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج٤.

- **السُّهروردي**، (أبو حفص، عمر بن محمد، ت: ٦٣٢هـ): عوارف المعارف، دار الكتب العلمية- بيروت.

- **الطوسي**، (أبو نصر، السرَّاج، عبد الله بن علي، ت: ٣٧٨هـ): اللمع، حققه وقدم له: أ. د. عبد الحليم محمود، أ. طه عبد الباقي سرور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٢٠م.

- **عبده**، (الأستاذ الإمام، الشيخ محمد): رسالة التوحيد، تحقيق: محمود أبو رية، دار المعارف، ط٤، دون تاريخ.

- **الغزالي**، (حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد، ت: ٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة- بيروت، دون تاريخ.

- **القشيري**، (أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن، ت: ٤٦٥هـ): الرسالة، نشر: مكتبة الإيمان بالقاهرة، دون تاريخ.

- **محمود**، (الإمام الأكبر، الشيخ عبد الحليم):

أبحاث في التصوف، مع المنقذ من الضلال، للإمام الغزالي، نشر: دار الكتب الحديثة، ط٨، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

الحمد لله هذه حياتي، دار المعارف، ط٣، دون تاريخ.

- **محمود**، (د. حسن): الشيخ مصطفى عبد الرازق كما عرَفتُه، بحث منشور ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا ...

- **مدكور**، (أ. د. إبراهيم): مصطفى عبد الرازق رئيس مدرسة، مقال منشور ضمن كتاب: الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكرًا ...

- **مصطفى**، (د. محمد أحمد): الرمزية عند محيي الدين ابن عربي، نشر: دار القدس العربي بالقاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

فهرس موضوعات البحث

المقدمـــة ٦٠٣
تمهيد: الشيخ مصطفى عبد الرازق: بطاقة حياة..... ٦٠٥
المبحث الأول: التصوف الإسلامي ومبادئه عند الشيخ مصطفى عبد الرازق ٦١٢
أولاً: رأْي الشيخ مصطفى في تاريخ كلمة "تصوُّف" ٦١٢
ثانيًا: اشتِقاق لفظة "تصوُّف"..... ٦١٥
ثالثًا: ضوابط البحث في التصوف الإسلامي. ٦١٧
رابعًا: أهمية التصوف في الإسلام. ٦١٩
خامسًا: مَبنى التصوف في الإسلام ٦٢٠
سَادسًا: هل تُعدُّ الصوفيَّة فِرقةً؟ ٦٢٣
المبحث الثاني: أدوار التصوف الإسلاميِّ كما يرَى الشَّيخ مصطفى عبد الرازق ٦٢٦
المطلب الأول: نشأة التصوف الإسلامي، وأدواره. ٦٢٦
المطلب الثاني: من مظاهر الانحِراف لدى متأخِّري الصوفية – الفهم الخَاطئ لكرامات الأولياء ٦٣٧
أولاً: مادة (ولي)..... ٦٣٧
ثانيًا: جواز ظهور الكرامات ووقوعها ٦٣٨
تعقيب..... ٦٤٣
خاتمة البحث، وأهم التوصيات ٦٤٦
أهم مصادر البحث ومراجعه ٦٤٧
فهرس موضوعات البحث ٦٥٠